

THE DEMON

عمرو المنوفي

العفريت

رواية

عمرو المنوفي

الحانوتي2

العفريت

رواية



"فإن أسباب الوفاة كثيرةٌ
من بينها: وجع الحياة."

كزهر اللوز أو أبعد: للشاعر محمود درويش

- لننعش الذاكرة -

مرحبا بكم.

أنا عمكم يزيد الحانوتي، وهذا هو لقاؤنا الثاني، والذي أتمنى أن يكون لقاء ممتعا، أو مرضيا لكم في أسوأ الأحوال، فأقل من هذا وسيتملكني الإحباط، وستنطفئ جذوة حماستي لأقص عليكم المزيد من مغامراتي الشنيعة والمثيرة، عبر عوالم الكون المختلفة.

من قرأ سر الحانوتي يعرفني جيدًا، ويعرف الأهوال التي مررت بها في لقائنا السابق، تحديدا في تلك الفترة الحرجة، بين مراهقتي، وبداية شبابي.

إنه ذلك الوقت الذهبي الذي لا يمكن تكراره قط، والذي كنت فيه متمتعا بقسط كبير من صحتي وحماستي، وجزء أكبر من جهلي ونزقي.

وأنا على يقين تام، بأن من قرأه قد استمتع به كثيرا، وبات يعرف كيف انتهت مغامرتي السابقة، ولأين قادتني تلك المغامرة، التي انتهت بي إلى عبور ثغرة مضطربة بين العوالم.

تلك الثغرة اللعينة التي أجبرتني على مغادرة عالمي على غير رغبتي، وتوقعي، وانتهت بي إلى التجسد في عالم غريب ..

مخيف..

أجهل عنه كل شيء، أو ما ينتظرني به؛ وذلك بعد الموت - غير المؤكد - لتهاني الغجرية.. أم الجماجم .

تلك الساحرة العجوز الخبيثة، التي كانت تمارس نوعا معقدا ومحرما من السحر الأسود، وبسببه بدأ كل هذا الهول.

وذلك كله من أجل تحقيق أمنية مستحيلة؛ نتج عنها استحضار مخلوق دموي رهيب قادم مما وراء العالم..

والذي هاجمها بضراوة، ومزق أطرافها، لينتهي كل أثر لها مع اختفائه، واحتراق منزلها.

أما الكارثة الكبرى التي نتجت عن اختفائها/موتها فهي: تقوض سحرها القوي النادر.

والذي أدى بدوره إلى كارثة أكبر، وهي: حدوث اضطراب هائل في تلك الثغرة الشيطانية التي قامت بفتحها في النسيج الكوني مستخدمة أحد أعقد أنواع السحر الأسود وأحقرها.

مما حول الثغرة إلى بوابة جهنمية بين العوالم، فتحت أبواب الجحيم على قريتي وعلى عالمي، وعلى عوالم عديدة مأهولة بالمخلوقات؛ سواء الوحشية أو المتحضرة، عبر مسارات كونية استثنائية، مهددة بفنائها.

من قرأ سر الحانوتي يعرف أيضا تفاصيل كثيرة عن (نوارة) .

تلك المخلوقة الغامضة، القادمة من عالم آخر لا أعرف عنه الكثير، إلا أن نساءه ساحرات، فاتنات، وشديدات الرقة، ويخطفن القلوب دون استئذان أو تردد.. وأنهن برغم لمسة السذاجة الروحية التي تغلفهن، قد يكن خطرات كأفاعي رقطاء، مفعمة بالسم والدهاء.

وأفضل مثال على ذلك: هي نوارة نفسها التي سرقت قلبي، كما تسرق الحلوى أعين الأطفال.

ونوارة التي لها قلب زهرة، وغموض قبر مغلق منذ ملايين السنين، تمتلك أيضا قدرات بطلة خارقة قادمة مما وراء النجوم.

قدرات لم يمتلكها أحد في عالمي قبلها، وربما لن يمتلكها أحد بعدها، كالقدرة على التخاطر، والنفاذ عبر الجدران والحواجز المادية، وقراءة عقول الموتى، واستخلاص ذكرياتهم وخبراتهم ومعارفهم، فيما يشبه النكرومانسي الفضائي.

وبعد مغامرتي السابقة معها، أدركت أن لديها القدرة على العبور بين العوالم، عن طريق خلق ذبذبة تتسبب في اضطراب حواجز الزمكان، باستخدام السحر الذي كانت تتقنه بطريقة كنت أجهلها في حينها.

وإن كانت حتى هذه اللحظة لا تستطيع التحكم في دفتها، ولا تملك طريقة محددة لتحديد المكان الذي تذهب إليه، أو الزمان الذي تتواجد خلاله، وبالتالي فنحن طوال الوقت في مهب ريح القدر والمجهول.

وبرغم كل سلبيات الأمر، ولكنها على كل حال قدرة خارقة، يمكن تطويرها ذات يوم والتحكم فيها.

وبيني وبين نفسي أُدرك أنها سلاح خطير للغاية، وأن نوارة كارثة تنتظر فقط الوقوع.

عاصرت مع نوارة أهوالا لا تحصى في مغامرتي السابقة، والتي كادت أن تفنيها فيها بكتريا فضائية غامضة، حولتها من هيئتها الطيفية التي عرفتها بها منذ البداية، إلى مسخ شديد البشاعة والخطورة.

وهي نفس البكتيريا الملعونة التي أنقذتنا معا عندما ظننا أنها النهاية.

من قرأ سر الحانوتي سيعرف أيضًا أن نوارة مازالت على قيد الحياة، وأنها شفيت من إصابتها بشكل كامل ومبهر.

كما أنها لم تعد بهيئتها البشعة السابقة، التي تثير النفور والتقزز في النفس، بل بهيئة جديدة طازجة، وبشرة صافية تميل إلى الزرقة، جعلتها أقرب للحوريات، أو مخلوقات الأفتار ببشرتها الفيروزية.

لا بل هي إلى الحوريات أقرب..

لأنها بمقاييس الجمال البشرى أجمل بكثير من أن تكون أفتار بملامحه الحادة العنيفة، وأذنيه الطويلتين، وقسمات وجهه الغريبة.

إنها الجمال، والرقة، واللطف، والغموض، القادمين مما وراء النجوم..

الساحرة التي تمرح في تلك المنطقة الرمادية الواقعة بين الواقع والهلاوس، والتي تعبث بقلبي، بكل توتر من يحاول تفكيك قنبلة شديدة الانفجار، يقترب عدها التنازلي من الصفر.

من قرأ سر الحانوتي سيعرف كذلك، أن مغامرتي السابقة مع نوارة، لم تنته نهاية جيدة على أي حال.

فأمام كل هذا الشر الذي واجهنا، وبرغم قدرات نوارة الفريدة، غير الأرضية، لم يكن لنا اليد العليا في نهاية الأمر..

فقد قاتلت أنا ونوارة بكل قوتنا من أجل حياتنا، وأنقذنا عالمي جزئيًا!!

إلا أننا لم نترك خلفنا وسيلة حقيقية تمكن قاطنيه، من مواجهة كل هذا الشر الخارج إليه من أعماق الثغرة.

وذلك لسبب بسيط أننا لم نكن نملكها، ولم نكن نبحث عنها من الأساس في خضم صراعنا للنجاة بأرواحنا..

هذا لو كان لها وجود حقيقي!!

فالقائمة الطويلة التي وضعها العلماء، والتي تحتوي على توقعاتهم لنهاية العالم، لأسباب كثيرة: منها الاحتباس الحراري، والتلوث، والحرب النووية، والنيزك القادم من الفضاء، وتفشي وباء لا علاج له، وعاصفة شمسية قاتلة، لم تكن تحتوي على فتح ثغرة عن طريق السحر، يتدفق عبرها أسوأ مخلوقات الكون.

والآن على كل قاطني كوكبي أن يواجهوا المجهول من دوننا ..

ربما هي آخر أيام الأرض ..

أرضي أنا..

وربما لا ..

ولكن الشيء المتوقع، والذي لا فرار منه..

أن تغزوا كائنات هذه الثغرة كل مكان في عالمي الذي تركته خلفي، دون هوادة، وأن يتحرر الشر الكبير، الذي أجهل عنه كل شيء، وتم تحذيرنا منه.

ولمن لم يصطدم بالمعلومة القادمة بعد، أخبره أن الشر ينتصر دائما في النهاية في عالم الواقع..

وهذا ليس جيدا للبؤساء الغافلين عن طبيعة هذا الخطر، ولا لأسرتي التي تركتها هناك.

وعلينا نحن أيضا أن نواجهه هنا، في تلك الأرض الجديدة التي ألقتنا فيها الثغرة الملعونة، بعد صراعنا مع الفزاعة والمخلوق الذي لا جلد له.

كنت سأطلق على هذا الكتاب عنوان (الأرض الثانية) وهو عنوان مناسب جدا للمكان الذي تواجدنا فيه.

ولكن ما واجهناه هنا فرض العنوان الجديد..

(العفريت).

عدو جديد ..

وأرض معادية لا تعرف إلا الشر ..

إنها رحلة جديدة ..

مثيرة لمن يقرأ ..

شنيعة لمن يعاصرها ..

ولكنها في كل الأحوال جزءا من قصتي ..

جزء من سر الحانوتي الكبير ..

معكم يزيد الحانوتي، في أرض جديدة، بصحبة فتاة من عالم آخر، زرقاء اللون، تمتلك قدرات خاصة ..

ولم يكن هذا عزاءً جيدا في تلك الأرض الملعونة ..

لنقرأ الآن.

التهمني الوحش ولم يهضمني.
وخرجت سالما أكثر من مرة!
كانت روحي التي طارت شعاعًا.
مني ومن بطن الوحش.
تسكن جسد آخر أخف وأقوي.
لكني لا أعرف..
أين أنا الآن؟!

أبعد من التماهي: للشاعر محمود درويش

عالم بشع جديد

- 1 -

- "اختبئ يا يزيد".

صرخت بها نوارة، فانتفضت في مكاني، وتحفزت كل عضلة في جسدي، وتحركت بسرعة برغم إصابتي ودمائي النازفة، وتواريت بمساعدتها خلف الجدار الإسمنتي المصقول الذي تتوارى بجسدها الدقيق خلفه.

وكتمت بصعوبة صرخة ألم كادت أن تغادر حلقي، بعد أن قبضت نوارة على ذراعي بقوة شديدة آلمتني لتقربني من موقعها أكثر؛ وذلك عندما شق الخوار الوحشي الهمجي الهواء الثقيل من حولنا، فتردد صداه أسفل تلك القبة الحيوية العازلة، التي تحيط بنا، كإحاطة السوار بالمعصم.

تلك القبة اللعينة التي حصرت تحركاتنا داخلها، فأصبحنا بداخل سجن عملاق لا يتجاوز قطره كيلومترين، لا مخرج منه ولا مهرب.

والأدهى أنها عزلتنا عن العالم الخارجي الذي تجسدنا فيه، فصرنا كالشاة التي تنتظر دورها في الذبح.

وكان هذا محطما للأعصاب!

لأنه يعني أن قتالنا، وركضنا المستمر لا جدوى منه!

لأننا في النهاية ندور في حلقات مفرغة لا تقود إلا لفخ مميت، سينتهي لا

محالة بين أنياب ذلك المسخ العملاق الشبيه بالحرباء، الذي لم يتوقف لحظة عن مطاردتنا بعد أن ألقانا حظنا العسر في طريقه.

حاولت أن أطمئن نوارة، رغم ما أشعر به من ضعف، وتشوش في الرؤية، نتيجة ذلك السم العضوي الذي حقنني به ذلك المسخ، ولكن عاد الخوار الرهيب هذه المرة أعلى وأقرب، ليفسد محاولتي.

لذا عادت نوارة وقبضت على يدي بقوة مضاعفة وكأنها تبحث عن الأمان بقربي، مما جعلني أزوم من الألم، وقد توترت عضلات ساقي المصابة بشدة، فهمست لنوارة قائلا:

- "اهدئي يا نوارة سيكون كل شيء على ما يرام.. وخففي من ضغط قبضتك على ذراعي، لا تنسي فارق القوة البدنية بيننا".

خففت نوارة قبضتها عن ذراعي على الفور، وإن لم تتركها، وهي تقول:

- "آسفة يا يزيد.. لم أقصد أن ....".

وهنا قاطعها صوت الخوار الذي صار أكثر قوة وإفزاعا، فابتلعت لسانها، ولم تكمل جملتها، وشعرت أنا بالعجز أكثر، وصدى الصوت يوحي بأن الخوار يقترب من موقعنا أكثر..

وتمنيت ساعتها لو كنت أصما، فلا أسمع ذلك الصوت الكريه المفزع، الذي يهددنا بمواجهة دموية جديدة، ومعاناة حتمية، لسنا مستعدين أو قادرين على خوضها بحالتنا هذه.

الخوار يزداد قربا.. أتحرك بعصبية فيؤلمني جسدي.. تتوتر نوارة أكثر، وهي تلتصق بي، وقد ظهر على وجهها الإرهاق والتعب، لتقول بصوت طفولي منزعج، وهي تتأمل جسدي النازف في هلع وعجز كاملين:

- "إننا لم نلتقط أنفاسنا بعد.. إننا نركض منذ ساعة كاملة، وأنت أيها المسكين مصاب بشدة، وتنزف كصنبور حديقة، ولن تستطع الصمود أكثر مع ما فقدته من دماء".

لم يكن عندي القدرة أو الطاقة لأرد عليها، أو على تشبيهاتها الساذجة، فأخذت أجز على أسناني من الألم، وأنا أمسح المكان ببصري الواهن من زاوية ضيقة لا تكشف موقعي؛ محاولا تحديد مكان انبعاث ذلك الخوار المفزع؛ مهيئًا نفسي لمواجهة عاصفة لن تنتهي على خير بأي حال من الأحوال.

المكان على مدى البصر خال، وبرغم الخوار المتصاعد، لم يظهر أثر بعد للحرباء المشوهة التي تطاردنا..

وهو شيء جيد مؤقتا..

وإن كان لا ينفي خطره أو قربه.

إن الخوار في حد ذاته، إعلان للموت الوشيك، لا يمكن تجاهله أو التقليل من شأنه.

إننا في موقف لا نحسد عليه، فأنا أحتضر ولا أريد أن أظهر هذا..

أحاول إخفاء ضعفي عن نوارة، فأفشل فشلا ذريع..

أنا لست بقوتها البدنية، كما أن عقلي أمامها ككتاب مفتوح تقرأه بكل بساطة.

أشم رائحة الموت تتسرب إلى أنفي..

والحقيقة أن من هو في مثل حالتي، لو خضع لفحص طبي عاجل، لن يتورع الأطباء عن وضعه في غرفة العناية المركزة، مع التشديد على المتابعة المستمرة.. ولكنه عناد الرجال خاصة عندما تتواجد نساؤهم في دائرة الخطر، فيتصرفون بكل حماقة.

وهذا العناد هو الذي جعلني أحاول الوقوف على قدميّ، متجاهلا عواء عضلاتي التي تكاد تتمزق من المجهود الذي بذلته خلال الساعة الماضية، وعلى مدار هذا اليوم الكئيب.

ولأنه ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، خذلتني قدماي، فعدت بمساعدة نوارة لأسند ظهري إلى الجدار الإسمنتي المصقول دون أن أقوى على الحركة، أو العناد.

أبذل مجهودا مضنيا لأبدل من جلستي متجنبا أن تلتقي عيني بعين نوارة..

لا أرغب في المزيد من الشفقة أو الطاقة السلبية..

نوارة المتجهمة تتفهم ما أمر به، فتبدأ في تمزيق قميصي وصنع ضمادات بدائية لا أعتقد أنها ناجحة.

وعندما هممت بتوجيهها إلى كيفية ربط الضمادة وعقدها، خطفت عيني صاعقةٌ من البرق الدموي، سطعت للحظات متخللة جدران القبة العازلة النابضة التي غربت عنها الشمس، والتي كانت تخفي بضيائها القوي المريح بعض وحشة المكان..

برغم دقة الموقف كان المشهد فاتنا ومثيرا للرهبة في نفس الوقت، فنسيت كل شيء عن الضمادات وجروحي ودمائي النازفة، وطفقت أرمق تلك العروق الدموية المتألقة التي ظهرت في جدران القبة، ومخاوف مبهمة تتسرب إلى روحي..

كانت تلك العروق الدموية تظهر لعيني كشرايين عملاقة متوهجة تكاد تنفجر من كثرة ما يضخ بها من دماء، مما جعل عقلي غير المستوعب، يشطح في دوامة عميقة من التساؤلات الغريبة، والمريبة، وغير المنطقية، فاستدرت مواجها نوارة متسائلا:

- "أي جحيم ألقتنا إليه تلك الثغرة الشيطانية اللعينة؟".

نوارة لا تجيب، وتتابع ما يحدث بقلق، ولا تفارق عينيها القبة التي أصابها الجنون، فاستطردت متسائلا:

- "هل نحن على سطح كوكب جديد، أم بداخل معدة كائن حي عملاق، وموتنا قادم؛ عندما تبدأ أنزيمات معدته في هضمنا؟"..

عينا نوارة تتابعان تلك التغيرات العنيفة، التي تجتاح جدران القبة الثائرة، التي صارت لوحة من الجنون الكهربائي الدموي العاصف، ثم تسرح ببصرها للحظة، قبل أن تقول بصوت يموج بخوف الدنيا كلها:

- "يا إلهي.. إنها تشبه إلى حد كبير جدران بطن وحش الموركا.. إنه كائن مخيف وغير محبب في عالمي.. ولا يقتل فريسته، إلا بعد أن يعبث بها، ويدمرها على المستويين النفسي، والبدني".

كان وصفا شنيعا، وموفقا، لم نكن بحاجة إليه في مثل هذا التوقيت الحرج، مع قلة حيلتنا وجهلنا بما يدور حولنا..

وتمنيت ساعتها ألا يكون ظنها صحيحا، وأنه لم يتم التهامنا من قبل ذلك المخلوق الوحشي المجهول، فقلت في يأس:

- "حتى عالمك يا نوارة، يحتوي على وحوش سادية ودموية وقاتلة، أي هول آخر يختبئ لنا؟؟".

تشبثت بيدي، وهي تقول:

- "إن عالمي يا يزيد جحيم.. جحيم لا قبل لأحد به إلا مخلوقاته".

هززت رأسي في يأس وقلت:

- "جحيم أكثر مما نراه هنا؟".

هزت رأسها بالإيجاب دون أن تنطق بكلمة، فعدت أنا أتابع تلك العروق

الدموية البارقة، التى تحولت الآن إلى شبكة عملاقة متوهجة تلتهم مساحة القبة دون هوادة، في حين أخذت جدران القبة تنبض في قوة، وكأنها في حالة مخاض.

كانت القبة في هذه اللحظة تشبه إلى حد كبير، معدة كائن حي عملاق تحترق من الداخل.. ترى ماذا كان إحساس يونس في بطن الحوت؟

لو كان نفس الإحساس الذي يغتال أروحنا الآن، فلن تنقذنا إلا معجزة من الخالق العظيم، لأننا لن نتحمل كل هذا الضغط النفسي المروع.

الأرض تهتز تحت أقدامنا، في سابقة هي الأولى من نوعها..

الهلع يرتسم على وجه نوارة..

لابد وأن الانهيار قادم ..

القبة تنبض في قوة..

ومن وسط جحيم الأصوات والأضواء، دوى صوت الخوار المشئوم..

شوش الخوار هذه المرة، على صوت القبة النابض، الذي كان يدوي بصوت أعلى وأعمق، كدوي مدافع عملاقة هادرة.

في حين أخذت العروق الدموية التي تتوهج كعشرات الشموس الصغيرة، وتشبع الهواء من حولنا بكهرباء إستاتيكية عالية، جعلت شعر جسدي كله ينتصب، وعمقت بداخلي إحساسا مرعبا، بأنها النهاية ..

تشققات هائلة تضرب كل مكان..

القبة تنتفض في عنف، وكأنها على وشك التمزق والانهيار.

- "اللعنة.. أي هول جديد قادم؟".

أصرخ بها في جزع، وأنا أتأمل القبة في ذهول وخوف، فكل تحول يصيبها، وكل

نبض صارخ كهذا، وكل ثورة في جدرانها اللحمية غير المريحة، يعني لنا كارثة قادمة، أو مسخا دمويا يتأهب للعبور..

الوضع يتعقد، ولابد وأن المسخ القادم، والذي يحاول النفاذ عبر الثغرة، لا مثيل لحجمه أو قوته، ليسبب كل هذه الاضطرابات العاصفة.

وهذا دفعني لأفكر أنه لابد لنا من العثور على وسيلة للفرار من ذلك السجن المحكم، أو على الأقل مأوى نتقي فيه هجمة ذلك الوحش القادم، وقبلها ذلك المسخ الضاري الذي لم يتوقف لحظة عن الخوار.

لم أكن أراه في هذه اللحظة، ولكن ملامحه الحيوانية المشوهة، التي هي خليط من اللحم والمعدن انحفرت في عقلي إلى الأبد.

وتمنيت بأعماقي لو تفتر حماسته قليلا، حتى نحظى بقسط من الراحة، أو يرحل إلى الأبد فيمنحنا بعض الوقت لندرس موقفنا اليائس في هذا المكان المريع، المشبع بطاقة سلبية هائلة تضغط على أرواحنا.

وكان من الواضح أنه لا يأبه بأمنياتنا أو إرهاقنا، وأنه سيظل يطاردنا، حتى يفتك بنا.

أتلفت حولي في يأس..

لا شيء يوحي بالأمل في هذا المكان الملعون.

لا مخرج.. ولا مهرب.. ولا مأوى.

المكان من حولنا عجيب، وكأنه لوحة سريالية لسلفادور دالي..

فالقبة العازلة اللعينة، تظهر لعيني وكأنها مصنوعة من كتلة هائلة من اللحم النابض، وتحتها تتراص العشرات من المباني الإسمنتية المصمتة، التي لا تظهر براعة أو احترافية في البناء.. تتخللها أعمدة معدنية مرتفعة، زرعت على قمتها خلايا

شمسية نابضة، تشع بالضياء والحرارة، والتي لولاها لصرنا نتخبط في الظلام بعد غياب الشمس الفتية التي عجلت بشفاء نوارة وأعادتها لطبيعتها الحقيقية.

وبالطبع لا نعرف من صنع كل هذه الأشياء؟!

ولا لماذا هذا التباين والاختلاف الشديدين، بين جدران القبة شبه الحية، والمباني والأعمدة المعدنية الجامدة؟!.

إن المكان كله أشبه بفخ كبير..

وكل قوانين الاحتمالات، تخبرنا أن نهايتنا وشيكة، وأن لعنتنا مازالت تطاردنا، وأننا مهما هربنا، فهي مسألة وقت لا أكثر قبل أن نلقى مصيرنا المحتوم.

لا أعلم هل تستحق حياتنا، كل هذا المجهود الذي نبذله، وهل سنحتفظ في النهاية بكياننا قطعة واحدة، أم ستمزقنا تلك المسوخ التي تنجبها الثغرة دون هوادة؟

لمحت نوارة وهي تغمض عينيها بقوة، وتحاول التواصل عقليا، مع أي كائن حي أسفل القبة، بخلاف ذلك المسخ الضاري، الذي عجزت عن التواصل معه منذ بدأ في مطاردتنا، طلبا للمساعدة أو الفهم.

ومن تقلص ملامحها أدركت أنها مُنيت بفشل جديد.

إن قدرتها المتفوقة على التواصل العقلي والتخاطر، لا تعمل جيدا على مخلوقات هذا المكان، وكأن شيئا مجهولا يعوقها أو يمنعها التواصل، على الرغم من نجاحها في التخاطر معي منذ وطأت أقدامنا هذا المكان الملعون، ودون جهد يذكر.

أشحت بوجهي عنها، وأنا أقبض على ذراعي المصابة بعصبية، ثم سحبت قدمي الدامية التي برز طرفها النازف، لتتوارى خلف تلك البناية الإسمنتية المرتفعة التي نحتمي خلف أحد جدرانها المصمتة المصقولة، لتصطبغ الأرض بدمائي.

كنت أحاول أن أتجنب أي مواجهة قريبة مع هذا الحرباء الدموي، فأنا في أسوأ حالاتي بالفعل..

ولذلك عندما لمحت نوارة تهم بمغادرة مكانها في رعونة تمتاز بها، دفعتها في غلظة غير معتادة مني، لتتراجع هي الأخرى خلف الجدار، وأنا أصيح بها بصوت مكتوم:

- " لأين تذهبين أيتها الحمقاء؟".

رمقتني في دهشة واستنكار، وهي تقول بصوت مصدوم:

- "حمقاء؟.. إنك عاجز عن الحركة.. فكنت سأستطلع المكان.. إنني لست حمقاء يا يزيد .. أنا .. أنا..".

اغرورقت عيناها الدموع فقطعت حديثها، وأنا أنظر نحوها في ذهول، فاستطردت قائلة:

- "إنني خائفة عليك يا يزيد.. إن مؤشرات الحياة تنخفض لديك.. ولا يمكن أن نظل مختبئين إلى الأبد".

شعرت أني ظلمتها، ولكنه لم يكن وقت مثل هذه المشاعر المتطرفة، لذا فإنني قلت:

- "أنا أدرك مدى قلقك وخوفك وإرهاقك يا حبيبتي، ولكن هذا ليس مبررا لنتصرف بروعنة ودون تنسيق، وإلا رصد مخبأنا ذلك المسخ الدموي القاتل الذي يتربص بنا".

هزت رأسها، وهي ترفع أنفها في ضيق كالأطفال وقالت:

- "لايمكن أن أتركك تذهب يا يزيد.. لا يمكن".

أجز على أسناني، وأتحامل على قدمي المصابة، مستخدما الجدار الإسمنتي كنقطة ارتكاز، وأنا أرمق نوارة في ضيق:

- "ليس هذا وقت هذه الانفعالات يا نوارة.. دعينا نركز على المصيبة التي أمامنا".

تعود إلى مكانها وتجلس صامتة، بعد أن أعتمت وعيها وقطعت الاتصال العقلي بيننا كنوع من الاحتجاج أو الغضب الطفولي، برغم دقة الموقف الذي نمر به..

وجعلني هذا أكثر حرية، لأتألم وأطلق العنان لأفكاري دون قيود..

الموقف شديد التعقيد بحق..

عقلي عاجز عن التفكير، وكل خلية في جسدي تنبض بالألم.

أرمق ذلك المسخ الغاضب من تلك الزاوية الضيقة التي لا تكشف موضعي، فيخفق قلبي في صدري بعنف، وأنا أتأمل هيئته المخيفة، وتحفزه القاتل، وهو يرمي برأسه للخلف، ويطلق عواءً طويلا جمد الدماء في عروقي.

إنني لن أحتمل إصابة جديدة، كما أنني لن أتحمل أن أرى مخالب هذا المسخ الرهيب، وهي تمزق جسد نوارة ، وتسيل دماؤها، كما حدث معي.

إنني مستعد للموت قبلها، وهذا كان حالي خلال المطاردة الدموية البشعة، التي دارت رحاها منذ وقت قريب..

فقد كنت بالنسبة لنوارة، برغم ضعف بنيتي عن بنيتها، وعدم امتلاكي لأي قدرات خارقة، الدرع الذي حماها وذاد عنها أمام هجماته الغادرة، ومخالبه الحادة.

لا أعرف إن كان ما قمت به من أجل نوارة، هو شجاعة أم حماقة مني، أم هو تهور العشاق، الذي يفضي بهم دائما إلى القبور؟!!

ولكني فعلته دون تردد، وبكامل إرادتي، وسأظل أفعله، وأكرره، حتى آخر نفس يتردد في صدري.

فبرغم المواقف المروعة التي نمر بها، إلا أن أقدارنا تشابكت، وطرقنا صارت طريقا واحدا.

فإن كنت قد فقدت عالمي، فقد صارت هي كل عالمي.

لقد واجهنا الكثير خلال الساعة الماضية التي طاردنا فيها ذلك المسخ الرهيب، وتلقيت - برضاء تام - معظم الضربات المسمومة التي ظننت أن المسخ يوجهها لنوارة، وتقبلت أن يتمزق جسدي، عوضا عن جسدها، كي لا أراها وهي تتألم، أو تنزف، أو في أسوأ الظروف تموت.

لذا تجدونني الآن في حالة يرثى لها!

واهن..

متألم ..

غارق في دمائي..

وبائس بشكل لا يمكن تصوره..

يتملكني إحساس عارم باليأس، ولا يفصلني عن الموت إلا خوفي من فراق نوارة، وفزعي من أن أتركها وحدها لتواجه كل هذا الهول.

ولنفس الأسباب السابقة، تجاهلت خوار المسخ الوحشي الذي رج المكان للمرة الألف، وأسندت ظهري للجدار الصلب طلبا للراحة، قبل المواجهة الدموية التالية.

ولأنني شخص نحس..

زادت ثورة القبة العازلة - لابد وأنها ستتمخض عن مسخ لعين آخر في وقت قريب - وعاد الخوار المتحشرج ليهز المكان مجددًا.

وآليا كدت أن أتجاهله، عندما رصد عقلي طبيعة الخوار، فانتفضت في قوة، وأنا أرهف سمعي، لأتأكد مما سمعت.

فقد جاء الخوار هذه المرة مختلفا بحق..

فقد كان الخوار الوحشي متحشرجا، ممتزجا بعواءٍ متألمٍ.. نائحٍ!!

وكأن هذا المسخ يعاني ويتألم لسبب مجهول.

وهذا دفعني لأجازف، وأطل برأسي من خلف الجدار الإسمنتي المصقول، لأتابع التطور الجديد الذي يمر به المسخ.

فوجدت المسخ على حالته لم يغير موقعه.. فقط كان يزوم في عصبية وعنف، ومن منخاريه تتصاعد سحب الأدخنة الكثيفة، وما زالت حوافره نصف المعدنية تنهب الأرض، وتحدث تلك الشرارات النارية نتيجة احتكاكها العنيف بها.

وهذا جعلني أفكر في ذعر، أن وقوفه في هذا المكان، وبهذا الشكل، يعني أنه يرصد موقعنا بطريقة ما!!

لا أعرف إن كان يمتلك حاسة شم قوية، أم يتبع غريزته فقط، أم أنه يمتلك وسائل تتبع أخرى نجهل عنها نحن كل شيء.

ومهما كانت الإجابة أو الوسيلة التي يتتبعها معنا، فإنني متأكد من أعمق أعماقي أنه يعرف أين نختبئ، والشيء الذي يثير ذعري أكثر أن ألمه الذي أجهل سببه، سيكون حافزا أكبر له كي يفتك بنا.

وبالتالي، لا شيء يفصلني عن الموت، إلا أن يقرر هذا الوغد لحظة النهاية، وبعدها سيأتي دور نوارة، التي لا أتخيل أن تكون في يوم من الأيام فريسة للموت، أو أن تكون نهايتها بين أنياب كائن شديد القبح، كذلك المسخ المشوه الذي يتألم ويرج خواره المكان.

هممت أن ألتفت لأتحدث إلى نوارة، لنقرر الخطوة التالية، عندما عصفت بكياني موجة عاتية من الألم المفاجئ، فانتفض جسدي بقوة، وأنا أكتم صرخة هائلة كادت أن تخرج من بين شفتيّ، لتهتك سترنا، وتفضح وهننا، وربما قادت ذلك المسخ إلى التسرع في الفتك بنا.

سقطت على الأرض أئن وأتلوى، من فداحة ما يحدث لجسدي.

وبلا تفكير جثت نوارة على الأرض بجواري، ودون مجهود يذكر منها، قلبت جسدي الثقيل المرتعش، وعدلت من وضعه وهي تفحصني في لهفة، ثم ضمتني إلى صدرها في حنان، وقد ظهر الهلع في عينها، فتركت جسدي بين يديها، متصورا أنها نهايتي، عندما لاحظت أن جروحي العديدة، قد توقفت عن النزف، وبدأت تلتئم لسبب أجهله، وإن كان الألم الناتج عن العملية نفسها يكاد يزهق روحي..

أجز على أسناني لأكتم ألمي، فتضمني نوارة أكثر وأكثر، ويصفع أذني الخوار المتألم من جديد، وصوت نوارة القلق يخترق أذني قائلا:

- "تحمل يا صغيري لبعض الوقت.. إن جراحك تشفى، ونزيفك قد توقف.. وأنا بجوارك، ولن أتركك مهما حدث".

تحاول أن تمنع دمعة كادت أن تفر منها ثم تكمل:

- "ثم إنني لا أعتقد أن هذا المسخ الدموي ينوي مهاجمتنا الآن، إن هناك شيء ما يجعله يتألم، ربما هناك قوة مجهولة تعمل لصالحنا في هذا المكان الكريه، وتعمل على كبحه، وربما هي التي عجلت بشفائك".

لم أرغب في احباطها، وقطع خيوط الأمل التي تتعلق بها، ولكنني منذ وصلت إلى هذا العالم، والأمور تتجه من سيئ إلى أسوأ، وكل شيء فيه يخبرنا أن هذا العالم، هو الخيار الأسوأ من نوارة من بين كل عوالم الكون.

وبرغم ذلك، قبضت على يدها في حنان، وضغطت على أصابعها الرقيقة برفق، فاستكانت للمستي، وقلت:

- "ربما يا نوارة .. ربما.. لا شيء مستبعد في هذا المكان الملعون".

موجة ثانية من الألم تضربني في عنف، جعلت قبضتي تتقلص على يد نوارة، التي أجبرتني على الاسترخاء، وهي تقول:

- "عليك أن تستريح قليلا، إنك منذ وعيت على هذا العالم، وأنت تبذل مجهودا مضنيا، كما أنك فقدت كمية كبيرة من الدماء".

لم أستطع الرد عليها، ولدقائق أخذت أكافح لأتخطى موجة الألم الصاعق التي تجتاحني بلا رحمة.

وعندما أصبح الألم مستقرا ويمكن تحمله، نهضت على الفور، وسط بحيرة العرق والدماء التي أغرقت وجهي وجسدي، وتخليت عن مخبئي بتهور كنت أمنع نوارة من ممارسته منذ دقائق، ووقفت أواجه ذلك المسخ الذي كان يزوم دون توقف، وقد تركت حوافره في الأرض الإسمنتية المصقولة، علامات عشوائية شوهت منظرها.

إنها مواجهة غير متكافئة، وكان من الحماقة أن أتعجلها، فالإرهاق يعصف بكياني، وجروحي تصعقني من الألم.

معدتي تتقلص، فأنحني بجذعي إلى أسفل، وصدري يعلو ويهبط في قوة، مستندا بكفي على ركبتي، محاولا التقاط أنفاسي.

المسخ أمامي لا يفعل أي شيء.. فما الذي يمنعه عني؟!

لقد طاردني هذا اللعين دون هوادة، حتى أني في المطاردة الأخيرة قد قطعت ما

يقرب من ثلاثة كيلومترات عدوا دون توقف، كادت رئتاي فيهما أن تتمزقا.. والآن لا شيء، غير الخوار، والعواء، والألم، وسحب الدخان التي لا تنقطع من منخاريه.

وهذا جعلني أتشجع أكثر فلا أعود لمخبئي، رغم اعتراض نوارة وتحذيرها، لأقف دون خوف متأملا ذلك المسخ الرهيب.

كان يقف بوجهه الشبيه بالحرباء، وبجسده العملاق، عشوائي التكوين، المكون من خليط عجيب من اللحم والمعدن، على مسافة ليست بعيدة عني، مشرعا مخالبه، كاشفا عن أنياب حادة تشبه أنياب أسماك القرش، يخور ويزوم، ويتألم..

وهذا هو الجزء الذي منحني الأمل والشجاعة..

ومن أعماقي تمنيت لو أنه يوجد في هذا العالم شيء قادر بالفعل على قهره أو على الأقل السيطرة عليه.

فالمواجهة بيننا لن تكون متكافئة أبدًا، بل هي مواجهة دموية محسومة من قبل أن تبدأ، وضحيتها معروفة مسبقًا، وستلقى الهزيمة الساحقة من اللحظات الأولى.

ضحية بشرية لا حول لها ولا قوة، كان كل تعاملها مع الموتى، وصار عالمها يغص بالوحوش والمسوخ الآن.

أخذت أرمق بعين مجهدة ذلك المسخ العملاق الذي كان يرمقني بشهوة وحشية حيوانية، بتلك العين المطفأة في منتصف جبهته، والتي جعلته أشبه بالمسيخ الدجال كما ذكر في كتب الأثر، وهو ينفث من منخاريه الدخان الكثيف كتنين غاضب.

ومن أعماقي شعرت بمزيج مزعج، من الدهشة، والخوف، والرهبة.

كتلة من الشر والبشاعة لا يمكن وصفها..

يهز رأسه المستدق، الذي يشبه رأس حرباء مطموسة بطريقة مستفزة، فيتمايل معها جسده الحرشوفي المشوه الذي امتلأ بنتوءات معدنية عشوائية عجيبة، جعلته أشبه بعظاءة سوداء هائلة الحجم، تقف على قدميها الخلفيتين، خرجت من حرب ضروس؛ بكم هائل من الإصابات والشظايا المعدنية غريبة الشكل.

جززت على أسناني في غل، وأنا أركز بصري على عينه المطموسة التي لا أدري كيف يستعملها أو يرى بها، متجاهلا أضواء القبة العازلة الجنونية، وأنا أزوم صارخا:

- "لماذا لا تتحرك أيها الوغد، هل تمارس معنا نوعا من الحرب النفسية؟! هل أنت كائن ذكي عاقل، أم أنك مجرد مسخ مشوه يلهو بضحيته، قبل أن يلتهمها بوحشية؟!؟".

عقلي عاجز عن استيعاب، كل هذه البشاعة المتجسدة أمامي، وهذا جعلني أتساءل بيني وبين نفسي:

من أي جحيم أتى؟

ولماذا يطاردنا بمثل هذه الوحشية وهذا الإصرار؟!

أتحسس جروحي التي بدأت تلتئم بوتيرة أسرع، وعقلي يكاد يحترق من التفكير، ومن ألم الشفاء السريع.

أتجاهل الألم فتسطع الفكرة في عقلي المنهك، ومن شدة بساطتها ومباشرتها، تتسع عيناي في دهشة، وأنا أردد في ذهول، جعل نوارة تنسى المسخ المتحفز الذي يرمقنا في وحشية، وتنظر نحوي في تساؤل وأنا أقول:

- "يا إلهي.. إنه التفسير المنطقي الوحيد يا نوارة، إنهم ليسوا مسوخ هذا العالم.. لقد أتى هذا المسخ المقيت من الثغرة العكسية.. الأمر لم يكن بحاجة

لتفسير من الأساس، فقد أتى من حيث أتينا.. إن الثغرة لم تفتح في عالمي وعالمك وحدهما، بل فتحت في هذا العالم أيضا..

وتلك الثغرة الملعونة، مازالت حبلى بالمسوخ، وفي كل دقيقة تمر علينا هنا، فالخطر يتضاعف، ونسبة نجاتنا تتجه إلى الصفر".

تأملتني نوارة في دهشة، وقد ظهرت على وجهها ملامح الضيق، وهي ترمق المسخ الضاري الذي بدأ يتحرك حركة عصبية، وتقول في حنق:

- "أهذا وقت البحث عن موطن هذه المسوخ أيها الطفل الغرير.. إنه وقت الهرب.. هذا المسخ يستعد لالتهامنا".

تجاهلت حديثها اللائم، وإهانتها لي، وأنا أفحص المكان من حولي في لهفة، بحثا عن مكان الثغرة دون جدوى.

وإن كنت لا أعرف ماذا سأفعل بها، لو عثرت عليها، وقدرات نوارة منعدمة في هذا المكان..

كنت أحاول أن أتخلص من يد نوارة التي كانت تجذبني لنبتعد، عندما زام الوحش، وخرج من منخاريه عمودان كثيفان من الدخان، وصلت برغم المسافة رائحتهما الكبريتية الكريهة إلى أنوفنا، فجذبتني نوارة من يدي لأبدأ الركض معها، ولكنني تملصت منها بسرعة، وتخليت عن يدها، وعدت أواجه المسخ العملاق، الذي وقف في مكانه متصلبا، دون أن يحاول مهاجمتي أو مهاجمتها برغم حركته العصبية.

لم يتحرك المسخ من مكانه، وعندما هممت بالتحرك نحوه، شعرت وكأن هناك قنبلة شديدة الانفجار قد انفجرت بأعماقي، ووجدت كياني كله يرتج، واجتاحت جسدي المرتجف، موجة عنيفة من الاهتزاز والتشوش، وكأنه سينهار، فتشبثت بشدة بيد نوارة، التي كانت تتأملني في هلع ممتزج بالدهشة قبل أن تقول في قلق:

- "يزيد.. ماذا أصابك؟".

ولم تكمل نوارة جملتها، لأن جسدها نفسه قد دخل في نفس الحالة العنيفة التي يمر بها جسدي، وبدأت تهتز في عنف وتصرخ، وصدرها يتحرك في إيقاع سريع.

ومع عجزي عن مساعدتها أو مساعدة نفسي، شعرت بأن قلبي يكاد يتوقف، من فرط ضغطي عليه، وسقطت على الأرض، وأنا أعاني بشدة لالتقاط أنفاسي، وأفكر في ذلك المسخ المروع، الذي لابد وأنه يستعد للفتك بنا، بعد أن أصبحنا لقمة سائغة بين يديه.

ولفترة طويلة لم أستطع إحصائها، ظل جسدي على الأرض الإسمنتية يهتز ويرتجف، وكل خلية فيه تسحق، في حين أخذ ظلام دامس ثقيل شرير يحيط بعقلي، ويتخلل روحي، وكل خلية في كياني.

ظلام له وقع.

وملمس.

وشخصية.

ظلام مخيف متجسد..

ينبض بالشر، والشراهة، والبدائية..

ولا أعرف إن كان الأمر من هلاوس نقص الأكسجين أم الإرهاق، ولكني رأيت في قلب هذا الظلام المرعب.. عينين ..

عينان شيطانيتان مشتعلتان، ترمقاني في كراهية، ووحشية..

كما سمعت النداء الرهيب، يتردد في رأسي بصوت كريه بارد مقتحم، يحثني على الاستسلام..

لا أعرف لأي شيء أستسلم..

ولا من أين نبت هذا الظلام المروع الذي يبدوا حيا بشكل مقيت!

وبرغم إغراء النداء..

والهلع الذي يسببه لي الظلام..

ولكني قاومت بكل ما بقي في جسدي من قوة..

كانت تجربة نفسية مروعة، لم أدر سبب حدوثها، ولا من يقوم بها، ولا متى ستنتهي؟

وعندما أوشكت على الاستسلام، دوت في المكان نبضة كهربية عنيفة زلزلت كياني، وأوقفت سيطرة الظلام، وأرخت قبضته الغاشمة عن روحي، وتبعها ضوء بارق أحال كل شيء لنهار، ليتبدد الظلام تماما، ويهدأ كل شيء، وتتوقف صرخات نوارة، لأنتفض واقفا، مندفعا نحو جسدها الملقى على الأرض الصلبة بلا حراك.

كانت المرة الأولى التي يتملكني فيها مثل هذا الفزع على نوارة، والمرة الوحيدة التي أجرؤ فيها على فحص جسدها بمثل هذه الجرأة، والمرة الوحيدة التي يتملكني فيها هذا الشعور الهائل بالعجز والخذلان، بعد أن عجزت عن العثور على أي مؤشر على كونها على قيد الحياة.

قمت بمحاولات عديدة لإنعاشها صناعيا، بالضغط على صدرها الذي لم أكن أعلم إن كان يحتوي على قلب أم لا.

وكانت القُبلة الوحيدة التي منحتها لها، هي قبلة الحياة، التي لم تشعر بها، ولم تُعِدْ لها تنفسها.

لقد ذهبت نوارة..

ذهبت وتركتني وحيدا في هذا العالم الموحش، الذي أجهل عنه كل شيء.

ذهبت المخلوقة الوحيدة التي أحببتها من أعماق قلبي، وتقبلتها ككائن طيفي، وكمسخ، وكحورية زرقاء.

ذهبت وعلي أن ألحق بها إلى العالم الآخر.

ولدقائق مضت كأعوام كاملة، لم أرفع بصري عنها، وفي كل لحظة تمضي، ومع عدم استجابتها لمحاولاتي لإنعاشها، تسربت بداخلي مشاعر سلبية هائلة، ورغبة عاتية في عدم التواجد في هذا العالم؛ الذي غادرته هي بشكل مفاجئ، وغير مفهوم، أو متوقع.

ومع الإنهاك الذي غزا كل خلية في كياني، وعنف الألم الذي أشعر به نتيجة عشرات الجروح الصغيرة التي تسببت لي فيها مخالب ذلك المسخ الرهيب الذي ينتصب أمامي كروبوت فقد طاقته، ومع مروري بذلك الزلزال الخلوي الذي قضى على نوارة، وقفت أمام ذلك المسخ المشوه.

وفي قرارة نفسي، قررت أن كل شيء انتهى وأنني لن أتحرك من مكاني قيد أنملة.

بل وقررت الاستسلام، لذلك المسخ الضاري، ليفعل بي ما يشاء، وقد ذكرتني مطاردته المحمومة، ثم وقفته المتجاهلة لي، بصراع القط والفأر في أفلام الكرتون القديمة..

مطاردة لا تنتهي، دون حسم أو فتك أحدهما بالآخر، أو نهاية للصراع.

وهذا جعلني أفكر أن هذا المخلوق العجيب، لا يحاول الفتك بي على قدر استمتاعه بالمطاردة نفسها، واستعذابه لمعاناتي، بمنحي الألم على هيئة، تمزقات صغيرة في جسدي.

وهو ما قررت أن أحرمه منه، خاصة وأن الإصابات التي تسببت لي فيها مخالبه، تشفى بشكل أسرع في هذا العالم الغريب، رغم ذلك السم العضوي الذي يلوثها!

وإن كان الألم المصاحب لها يجعلني أفضل أن تظل تنزف حتى تتصفى روحي، على أن أعاني بمثل هذا الشكل المروع.

تأملت نوارة لمرة أخيرة، وأنا أكتم صرخة هائلة تكاد تخرج من حلقي، ثم هبطت على ركبتيّ بجوارها، وقبلتها على جبينها، وقلبي يعتصر من الألم النفسي، وجسدي ينسحق من آلام الشفاء وقلت:

- "وداعا يا نوارة.. وداعا يا حبيبتي".

وبعدها تقدمت عدة خطوات من المسخ المشوه؛ وعيني مركزة على عينه المطموسة، تدفعني ميولي الانتحارية للاقتراب أكثر، وصرخت به في قوة، مخرجا كل ما كبته بداخلي من ألم وغضب وقلت:

- "هلم أيها الوغد.. هلم أنه معاناتي وعذابي، وألحقني بها.. هلم أيها الوغد لابد وأنك جائع".

لا شيء!!

نفس الوقفة..

نفس النظرة الخاوية..

ونفس كمية الدخان التي تخرج من منخريه.

اقتربت أكثر لأحثه على مهاجمتي، فلم يتغير شيء.

وعندما طال الوقت، وشعرت أن تركيز هذا المسخ المشوه، ليس معي برغم أنه لم يغير من مكانه أو وقفته أو اتجاه نظراته، أو يتوقف عن نفث البخار من منخريه، صرخت به في جنون، محاولا استفزازه أكثر لينهي الأمر، ويهاجمني.

ولكن ذلك الأحمق ظل على وقفته، وكأن هناك شيء غير مرئي يكبله، أو يمنعه من التقدم، فصرخت به أكثر بعد أن بلغت روحي الحلقوم، فقلت بصوت غاضب:

- "هيا أيها الأحمق هاجمني.. هيا أيها الوغد المشوه لتسعد بإراقة دمائي.. هيا أيها الحرباء البشعة مزقني .. أنا لن أقاومك.. أنا انتهيت من كل هذا، فلتنتهي مني".

لم أكن في وعيي، أو في حالتي الطبيعية، ففقداني لنوارة أوصلني بسرعة الصاروخ، لشفير الهاوية.. فلم يعد يعنيني أن أخسر حياتي، بعد أن خسرتها هي.. رحلتي وصلت لنهايتها؛ ما أتمناه فقط أن يتحرك هذا الوغد بسرعة، وأن تكون نهايتي أسرع من انتشار ذلك الألم في كياني.

لقد انتهيت من هذا العالم، ومن كل شيء.

لا مزيد من الفرار أو الركض.

لتكن النهاية سريعة، وليذهب كل شيء بعدها إلى الجحيم.

وعندما هممت بالاقتراب أكثر، ولم يعد يفصلني عن ذلك المسخ إلا عدة أقدام، رأيته يتحرك من مكانه، وينسحب تجاه نقطة متوترة على أطراف المكان.

وعندما هممت بالركض نحوه، شعرت بتلك القبضة القوية الناعمة تقبض على يدي، وتمنعني من التمادي، وسمعت صوت نوارة الرقيق يقول:

- "هل ترغب بقتل نفسك أيها الغرير.. هل ترغب بتركي في هذا العالم المقيت وحدي.. ألن تتوقف عن التصرف كالأطفال؟".

حاولت أن أستدير نحوها بسرعة وأنا غير مصدق أنها مازالت حية، فالتفت قدماي حول بعضها وسقطت أرضا في عنف، لتتضاعف آلام جسدي، فمدت يدها لتساعدني على النهوض.

نهضت من سقوطي، وأنا أنتحب كالأطفال، وقلت بصوت يموج بالاضطراب والدهشة:

- "أنت حية يا نوارة.. حية يا حبيبتي.. لقد كدت أقتل نفسي من أجلك.. فلا حاجة لي بالحياة إن لم تكوني فيها".

قبضت على يدي بقوة، فغرقت في بستان عينيها الأخضر، ثم قالت:

- "يا طفلي العزيز المتهور.. أنا لن أتركك بهذه السهولة.. بل لن أتركك أبدا، ولن يفرقنا إلا الموت..

إن جسدينا مازالا يحاولان التناغم مع ذبذبة هذا العالم، إننا برغم وجودنا على قيد الحياة، لم نصل بعد للاستقرار الخلوي الكافي.. سامحني لم أعلم أن كل هذا سيحدث عندما حاولت إخراجنا من البئر".

وعندما هممت بأن أستفسر منها عن الظلام الثقيل والعينين الشيطانيتين المفزعتين، سمعنا صوت الفرقعة المدوي، والصراخ المروع..

وعلى الفور استدرنا لنشاهد المسخ المشوه، وهو يتلوى، ويصرخ، قبل أن تدوي الفرقعة مرة أخرى، ويتلاشى جسده العجيب بقلب عاصفة رعدية دموية تشع بضياء أحمر باهر، ثارت فقط لتحتويه، ثم انتهت باختفائه، بعد أن ظل ذلك اللعين يطاردنا ليوم كامل دون هوادة، وبعد أن أشعرنا أنه لا هدف له في الحياة إلا اقتناصنا.

وهذا دفعني لأن أصرخ غاضبا، حانقا، موجها حديثي إلى نوارة التي كانت تتابع في شغف طريقة ذلك الكائن الغريب في الاختفاء:

- "أهذا كل شيء، أبعد أن أنهكنا طوال يوم كامل، وحطم أعصابنا، وأصابني بكل هذه الجروح، وحقن سمه في عروقي، يغادر ببساطة، وبتلك الطريقة العجيبة، ألن يقتلنا أو يقودنا لفخ ما أو يأسرنا؟".

رمقتني نوارة بعينها الخضراء الساحرة، ثم هزت رأسها وهي تقول:

- "لا يوجد فخ أكثر مما نحن فيه يا يزيد، كما أني لا أعتقد أنه ذهب إلى الأبد.. أنا على يقين تام من أنه سيعود فهو لم يحقق هدفه منا بعد.. ونحن لا نملك وسيلة حقيقية لمواجهته، أو مواجهة من سيأتي بعده".

حاولت أن أتجاهل الألم، وأنا أحاول أن أقنع عقلي، أنه السبيل الوحيد لشفاء جروحي وطرد السم من جسدي، وأن الألم ليس بمثل هذا العنف، عندما شعرت بنوارة تخترق عقلي، وتقول:

- "سيؤلمك الأمر للحظة واحدة.. وبعدها سيتلاشى ألمك إلى الأبد".

قالتها، وبعدها وجدت نفسي أصرخ بقوة، قبل أن تتلاشى كل آلامي، لأسألها بسرعة:

- "ماذا فعلت برأسي، وكيف توقف الألم؟".

ابتسمت برقة، وتألقت عيناها، فتمنيت لو ضممتها بين ذراعي في هذه اللحظة، قبل أن تقول:

- "لم تعد إشارات جسدك العصبية تصل إلى المخ.. جسدك سيتفاعل مع إصابتك في صمت الآن.. لقد درستكم بما فيه الكفاية في أثناء وجودي في عالمك و..".

قاطعتها بسرعة متسائلا في استنكار:

- "وطالما تملكين القدرة على فعلها، لم تركتني أتألم كل هذا الوقت؟".

ظهر على وجهها الضيق وقالت:

- "لأنني لم أكن أملك القدرة على فعلها إلا الآن.. جسدك كان يحتاج إلى ما ينتجه من مواد مضادة ومسكنة لمقاومة السم.. والآن هو قادر على الصمود بدونها.. أنا أقوم بالأمر الصائب من أجلك دائما".

مازلت أمارس دور الجاهل والأحمق في هذا العالم الكريه، وبرغم تفسيرها وضيقها، لم أشعر برغبة في الاعتذار..

واختطفتني من أفكاري، تلك العواصف الكهربائية الدموية التي كانت تموج في جدران القبة العازلة.. والتي صارت مسرحا مرعبا، للانفجارات والأضواء المضطربة، قبل أن أقول في يأس:

- "لابد من وسيلة للخروج من تحت هذه القبة الملعونة، أو على الأقل نحتاج لسلاح قادر على تفجيرها والقضاء على مسوخها، أعتقد أننا بحاجة لقنبلة نووية للقضاء عليها جميعا، فهل لديك واحدة يا نوارة؟".

ابتسمت نوارة في هدوء متجاوزة ضيقها السابق، فصعد لسماء روحي قمر أزرق، ثم قالت بصوتها الطفولي الرقيق:

- "لا أعتقد أن الأمر سيتطلب قنبلة نووية حقًا.. أنت تبالغ كعادتك يا يزيد.. أعتقد أن القضاء على القبة ومسوخها يحتاج لسلاح أقل تدميرا من قنبلة انشطارية.. إنها على وشك الانهيار بالفعل".

هززت رأسي في ضيق، فحديثها أكد لي أن نهايتنا قريبة بالفعل..

وأننا مازلنا عاجزين عن أن نكون فاعلين في المكان، ونقرر مصيرنا بأيدينا..

القبة من فوقنا مسرحا للأضواء الجنونية، والأصوات الناجمة عنها لا تحتمل، وفي وسط كل هذا أجد نوارة، تقطع صمتها وتبتسم بطريقتها الطفولية، الساحرة، وتقول بشكل حاسم:

- "ثم إني لا أمتلك واحدة يا يزيد، ولو امتلكتها لم أكن لأمنحها لك لتستخدمها، إن قوة الانفجار، والإشعاعات الصادرة من القنابل النووية لن تقتلها وحدها، بل ستقتلنا معها، إنها أسلحة مؤذية جدا".

برغم دقة الموقف، أجبرتني عبارتها الساذجة المستفزة على الابتسام..

ومن ابتساماتها العذبة، شع في روحي نوع من الطاقة الإيجابية المبهمة، فشعرت ببعض النشوة، وحمدت الله على وجودها بجواري، وأنها لم تسبقني إلى العالم الآخر، فوجودها بالقرب مني يدعمني بشكل كامل.

وعلى الرغم من أن تقاربنا، وفيض مشاعرنا المتصل على مستوى روحي عال، إلا أن جسدها وتحولاته قد أسرني، فمازال جسدها يتفاعل مع طاقات المكان ويشع فتنة.

لمحتني أتأملها بشغف المراهقين، فاتسعت ابتسامتها أكثر، بعد أن قرأت ما يدور في عقلي، فعطرت عيني أكثر بتأمل ملامحها، التي تبدو كواحة سماوية بقلب تلك الصحراء الإسمنتية التي تحاصرنا من كل اتجاه.

ولا أنكر أنني برغم موقفي البائس في هذا العالم؛ إلا أنني أصبحت أسير هذه الابتسامة الساحرة.. رغم ما يأتي بعدها من مصائب أو أخبار سيئة أو خراب أو تفاهات.. إنه قلبي العنيد، الذي يحيا وحده في عالم موازي؛ ويقتسم عرشه، الحماقة وسوء التوقيت.

تمنيت لو أنسى العالم كله، وأظل أتأمل ملامحها الفاتنة، إلى آخر لحظة في عمري، عندما دوى النفير..

نفير أقرب للصرير ضج في أنحاء المكان، فأخذت أنظر حولي في قلق، ورأيت نوارة تمسح الأفق بعينيها، ولهيب حرارة تلك الألواح الشمسية النابضة - التي هي البديل الأوحد للشمس التي غربت - تعصف بجسدي وتزيد من توتري.

لقد قضينا في هذا العالم ثلاثة أيام كما أخبرتني نوارة.. منها يومين قضيتهما أنا في غيبوبة كاملة خارج تلك القبة اللعينة، قبل أن يتم اقتناصنا بواسطة شعاع ضوئي ناقل، ويتم زجنا بداخلها.

يومان عانت فيهما نوارة الأمرين لتحميني من هجمات المسوخ، مستغلة قدراتها البدنية العالية، التي تفوق قدراتي بعشر مرات على الأقل، حتى استقرت خلاياي بشكل كبير، وتغلب جسدي على ضعفه، وعلى التأثير السلبي لعبوري الثغرة دون أي احتياطات أو تجهيزات.

ويوم كامل خضناه معا في مواجهة مسوخ الثغرة، دون راحة، ودون أن نحظى بمنطقة آمنة نلتقط فيها أنفاسنا لوقت كاف.

فلم يكن هذا الحرباء العملاق المشوه هو المخلوق الوحيد الذي طاردنا خلال هذا اليوم الطويل الذي لا نهاية له..

بل كان هناك مخلوقان آخران معقدان في هيئتهما، طاردانا لبعض الوقت قبل أن يختفي الأول بنفس طريقة اختفاء الأخير.

وتلتهم القبة الثاني، بعد أن انفصلت عنها ممصات دموية مزقته إربا، ثم امتصته ليصير جزءا منها.

ومن ساعتها وأنا على يقين بأن المكان حي، وإن كنت لا أفهم كيف!!

الوحش الثاني، كان أكثر ضراوة ومباشرة من الوحش الأول والمسخ الأخير، وكنا نختبئ منها جميعا خلف تلك المباني الإسمنتية المصمتة المتناثرة في أنحاء المكان، والتي تدل على حضارة عاقلة لم أقابل أي من آثارها، أو صانعيها حتى الآن.

تلك المباني، التي اكتشفت بعد الفحص والتدقيق، أنها عبارة عن مجموعة من الصناديق الإسمنتية المصمتة التي تموج بطاقة عالية، والتي لا توحي بوجود أي مؤشرات عن كائنات حية متوارية بأعماقها.

فقط هي هناك تقف كالمسلات المتجاورة بقلب البلوكات شبه السكنية، لتكمل لوحة الخرسانة الممتدة حولنا، والتي استنتجت نوارة في النهاية أنها مجموعة من

البطاريات التي يتم شحنها عن طريق الألواح النابضة بالطاقة الشمسية لتؤمن للقبة العازلة الطاقة والاستمرارية.

والشيء الأكثر غرابة هو تلك الأرضية الإسمنتية المصقولة الممتدة إلى مدى البصر، والتي تشع منها برودة محببة، فلا ترتفع درجة حرارتها أبدا رغم تسلط الألواح النابضة عليها، وكأنها مكيفة ذاتيا أو تم دهنها بنوع خاص من العوازل الحرارية.

من أين نأكل أو نشرب رغم عزلتنا هذه؟!! حتى هذه اللحظة، ورغم مرور ثلاثة أيام على تواجدي في هذا السجن المحكم، لم أشعر بحاجتي لأي منهما، وكأن في المكان ما يعوض أجسادنا عما فقدته وتحتاجه، وأذكر أنني قبل أن يهاجمنا المسخ الأخير، مازحت نوارة قائلا:

- "أشعر بنفسي كساعة قديمة يتم إعادة ملئها كلما فرغت طاقتها".

وساعتها أجابتني بحيادية دون أن تنتبه لمزحتي:

- "طاقات المكان بالفعل تعمل على تجديد نشاط خلاياك".

وبالطبع طالما لم يكن هناك طعام فلن يكون هناك.. إحم.. كان هذا سيكون شيئا لا يطاق في هذا المكان المغلق، فالرائحة والـ.. لا داعي للاستطراد في هذا الموضوع المقزز فهناك آنسات بيننا.

وعلى الرغم من استمتاعي بتلك الهدنة القصيرة التي حظينا بها مع اختفاء ذلك المسخ المشوه الشبيه بالحرباء، وعودة نوارة إلى الحياة، وتوقف شعوري بالألم.

إلا أنني لم أتوقف عن القلق لحظة، والتفكير في القادم الذي أجهل عنه كل شيء، فالأرض الإسمنتية تشققت، والقبة تكاد تنفجر من هول ما تموج به جدرانها من تفاعلات، والنفير الذي يشبه جرس الإنذار لا يتوقف.

إننا برغم نجاتنا المؤقتة بحاجة ماسة إلى مأوى بشكل سريع، لنتفادى عن طريقه تلك الهجمات الشرسة التي تقوم بها المسوخ والوحوش القادمين من الثغرة، ومنه نبدأ في البحث والتواصل مع أي كائن أو كيان عاقل يجيب عن التساؤلات المزعجة التي تعصف برأسي، وأهمها:

أين نحن؟

وهل سنظل نواجه تلك المسوخ الرهيبة، التي لا تشبه أي كائنات أخرى رأيتها أو تخيلتها في حياتي إلى الأبد، أم أن هناك مرحلة تالية؟

من الذي استخدم الشعاع الناقل، وألقانا في هذا الجحيم؟

قاطع أفكاري، رؤيتي لنوارة، وهي تتوقف أمام أحد تلك المباني المصمتة المفعمة بالطاقة، وتنظر إلى الأرض في اهتمام، فسألتها بقلق:

- "هل هو وحش جديد قادم من الأسفل؟".

تجاهلتني لبعض الوقت، وهي مستمرة بالنظر إلى الأرض المتشققة في تركيز، ثم قالت بشيء من الشرود:

- "لا وحوش هناك.. ولكن هذه البقعة من الأرض تختلف تمامًا عما يحيط بها، إنها تشع حرارة لا برودة".

نظرت لها بعدم فهم، ثم تساءلت، وعلامات الغباء ترتسم على وجهي:

- "وماذا يعني هذا؟".

سرحت قليلا ثم ابتسمت وقالت:

- "معناه أننا لسنا بداخل سجن محكم تمامًا، وأن من يتحكم في هذا المكان بدأ يفقد سيطرته عليه مع الاختراق الأخير للثغرة، و...".

صمتت.. فنظرت لها بلهفة، فاستطردت:

- "وأنني من هذه البقعة، قادرة على العبور إلى الجانب الآخر".

قالتها، وقرنت الأمر بالغوص بجزء من قدمها في تلك البقعة الدافئة، قبل أن تهز رأسها، وهي تبتسم في سعادة لتتألق عيناها الفيروزيتان، وتصفق كالأطفال، وتقول:

- "هناك مخرج يا يزيد.. هناك مخرج يا حبيبي".

لمحت ألسنة من البرق الدموية تسطع في سماء القبة التي جن جنونها، فصارت كفم كبير يستعد لالتهامنا، وكأنما لا يعجب صانعيها عثور نوارة على مخرج أو وسيلة للفرار.

كان مشهد القبة مهيبا وهي تتوهج، وتتماوج في غضب، ولكني تجاهلتها تماما، وبكل سعادة وفرح الدنيا عدوت نحو نوارة، واحتضنتها، بعد أن وجدت لنا المخرج.

لتسري في جسدي صاعقة كهربية مزلزلة، رجتني من أعماقي رجا، وجعلتني أصرخ في ذعر، وأنا أشعر بأن عقلي يشوى بداخل رأسي، حتى توهمت أني أشم رائحة شياط زاعقة.

وكان أصعب ما رأيته، هو وجه نوارة الفزع، وأنا أتشبث بها، ونغوص معا في أعماق البقعة الدافئة.

وللمرة الثانية في هذا العالم الغريب ظللت عيني غشاوة داكنة، لأسقط فريسة بين أنياب الظلام.

وقبل أن تظلم الدنيا تمامًا، لمحت مسخا جديدا يشبه أخطبوطا هائلا، له عشرة رؤوس، يتجسد تحت القبة العازلة ليلوث الأرض الإسمنتية المتشققة التي غرقت بدمائي، بمخاطه الكثيف.

وأظلم كل شيء.

- 2 -

مازلت أمارس دور الأحمق، الذي لا يكف عن الغياب عن الوعي كلما تأزم الموقف، وعلى عكس المفروض من أن أكون أكثر تحملا وقوة من نوارة، وأذود عنها، وأحميها، بصفتي رجلها وحبيبها، فقد انقلبت الأدوار تماما في هذا العالم.

لذا كنت في كامل دهشتي وذهولي، عندما أفقت من غيبوبتي هذه المرة، ووجدتها تطفو بجواري بقلب فراغ هائل مضاء بشكل جيد، ويدها تقبض على يدي بقوة، لتحثني على الإفاقة.

لم تكن هي وحدها من تطفو في فراغ المكان.

بل كنت أنا وهي وكرة هائلة الحجم من الكريستال العاكس تتوسط المكان ولا تتوقف عن الدوران، وكأن هذا المكان الغامض الجديد لا يعرف أي شيء عن الجاذبية الأرضية.

حاولت أن أتخذ وضعا مريحًا، وفي نفس الوقت يتيح لي مواجهة نوارة، بعد أن مسحت المكان ببصري فلم أميز إلا جدران دائرية بيضاء تحيط بنا من كل اتجاه، دون وجود نوافذ أو أبواب، أو مكان للخروج.

سجن جديد، بمواصفات جديدة، وعلينا أن نتخطاه، وهنا دوت في رأسي الفكرة فقلت محدثا نوارة:

- "لو أنني بداخل رواية من روايات الخيال العلمي، لأخبرتك الآن أننا مجرد

فئران تجارب بين يدي مخلوقات ذكية تسعى لاختبارنا ودراستنا، وأن هذا المكان هو لغز جديد يتطلب منا حله، وأن هذه الكرة الكريستالية العاكسة التي تدور دون توقف، نوع من الكاميرات لمراقبتنا، وربما بعد وقت قليل سيتجسد لنا في هذا الفراغ العجيب، مسخ جديد، وأتمنى ألا يكون ذلك الأخطبوط ذا العشرة رؤوس".

كان من الواضح أنها رصدت هي الأخرى، ظهور المسخ الجديد تحت القبة، قبل أن تبتلعنا البقعة الدافئة، لذا فإنها نظرت نحوي في دهشة ومطت شفتيها، ومنحتني نظرة مستنكرة، وهي تسبح أمامي في رشاقة وخفة، ثم قالت بقلق:

- "برغم أننا لسنا بداخل قصة من هذا النوع، لأنها في هذه الحالة ستكون قصة رعب، فإن عقلي يخبرني أنه التفسير الوحيد المقبول إلى الآن.. ولكنه لا يمنحنا أي دليل، أو طرف خيط لحل اللغز".

قالتها ثم اقتربت مني، وعدلت من طريقة طفوي العشوائي بفراغ المكان، فسألتها بسرعة، وبصوت متوتر:

- "أي لغز؟".

هزت رأسها في ضيق كالأطفال وقالت:

- "لغز بقائنا على قيد الحياة.. وطريقة خروجنا من هذا المكان يا يزيد.. ركز قليلا لو سمحت.. لقد عثرت على المخرج السابق بالصدفة، ولا أعرف عما نبحث هنا، فالمكان كله بارد، وقد اختبرته بنفسي عدة مرات أثناء فقدانك الوعي، إن فرق درجات الحرارة ليس الحل هذه المرة؟".

نظرت حولي في حيرة، ومن دون تفكير، أشرت بيدي نحو مركز المكان، وقلت:

- "الحل يكمن في هذه الكرة الكريستالية اللامعة صدقيني".

رمقتني نوارة بغير فهم، ثم تساءلت في شك:

- "وأين يكمن الحل في هذه الكرة الكريستالية اللامعة من وجهة نظرك، لقد فحصتها بنفسي عدة مرات قبل إفاقتك، ولم أجد أي طريقة بواسطتها يمكن حل اللغز، فهل توصل عقلك لشيء غاب عني؟".

شعرت لحظتها بغباء مستطير، وأنا أقول بارتباك:

- "هو مجرد انطباع وهاجس مسيطران على تفكيري لا أكثر.. فهي الشيء الوحيد الواضح والمختلف في هذا المكان.. لا أعرف يا نوارة.. عقلي يخبرني أن الحل يكمن هناك.. ولا يخبرني كيف؟".

رفعت كتفيها في ضيق، وعادت لتسبح في قلب الفراغ، وتبعتها أنا مستمتعا بتجربة انعدام الوزن، ونحن نقترب من الكرة الكريستالية الدوارة، وأخذنا نتحسس ونفحص كل جزء منها لعدة مرات دون أن يتبدل شيء، فتراجعت للخلف سابحا في الفراغ، متأملا الكرة من منظور أكبر، ثم فكرت قليلا، ووجهت حديثي إلى نوارة قائلا:

- "هل جربتِ قدراتك الخاصة على هذه الكرة الكريستالية يا نوارة، هل حاولتِ تدميرها أثناء فقداني للوعي؟".

وعلى الفور وصلت الفكرة لنوراة، إنه مكان جديد، وربما تعمل قدراتها الخارقة فيه بعد أن حجمتها القبة العازلة..

لذلك اقتربت من الكرة وألصقت يديها بها، وأخذت تغير ذبذبتها، ومع تزايد اهتزازها، بدأت الكرة تتوتر، والمكان كله يهتز، فصرخت في نوارة:

- "أقوى يا نوارة.. أقوى.. إن قدراتك الفائقة هي حل اللغز".

وهنا دوى صوت فحيح مكتوم رج المكان بقوة، ومن قلب عاصفة رعدية محدودة، ظهر كائن معدني متناسق الملامح، يشبه الروبوت، لديه قرنان معدنيان، أشبه بقرون الجديان والشياطين، في تناقض مذهل، وقال بصوت فزع يشوبه الاضطراب:

- "لا تحاولي.. ستدمرين المكان كله.. وتقتلين كل من فيه".

صدم الصوت المحذر نوارة، فأقلعت عما تفعله على الفور، فتوقفت الكرة الكريسالية والمكان عن الاهتزاز، ونظرت أنا بدهشة لذلك الكائن المعدني عجيب الهيئة، وإلى قرونه المريبة، والذي كان يتواصل معنا عن طريق التخاطر العقلي، وقلت بدهشة عظيمة:

- "من أنت أو ما أنت، وأين نحن، هل أنت إنسان آلي قاتل يسعى لتدمير العالم وتدميرنا.. أم أنت روبوت يتقمص شكل الشيطان، وهل أنت من تتحكم في القبة العازلة؟".

أعرف جيدا أن تساؤلاتي جميعها حمقاء، نظرا لعدم وجود ذاكرة أو خبرات مشتركة بيني وبينه، ولكن عقلي لم يجد غير هذا التعبير، وهذه الصورة الخيالية ليطرح بها دهشته وتساؤله، وبسرعة رد الكائن المعدني، الذي أصابته تساؤلاتي ببعض الحيرة وقال:

- "لا أعرف عما تتحدث أيها المخلوق الهش، ولكنني كائن حي مثلك، وربما يكمن الاختلاف فقط في أن جسدي غني بالبروتانيوم، أقوى معادن الكون الحيوية، لذا فهيئتنا تختلف عن هيئتكم.

وأنا بالفعل المتحكم في القبة العازلة، وأنا من أنقذكما من مسوخها التي شوهت بعضها عملية الانتقال القصرية عبر الثغرة، ووفرت لكما خلايانا الحيوية، ما تحتاجه أجسادكما من طاقة ومعادن حتى تستقر خلاياكما في منطقة العزل، وأنا (آتوم) حارس البوابة النجمية التاسعة".

نظرت لنوارة متسائلا، فمنحتني نظرة حائرة جاهلة، فبرغم أنها من نقلتنا إلى هذا العالم، وبرغم أن عقلها المتطور يمتلك معارف وعلوم كونية وأرضية لا تحصى،

إلا أنه من الواضح أنها تجهل كل شيء عن آتوم وبوابته النجمية، مما دفعني أن أتوجه بالسؤال لآتوم قائلا:

- "رغم أني غير مصدق لفكرة أنك كائن حي بهيئتك المعدنية وقرونك العجيبة هذه التي تجعلك أشبه بشيطان آلي مريب، وبرغم أني لا أصدق أن هناك عالم مماثل من الأساس؟! ولكني أرغب في أن تشرح لي ماهية البوابة النجمية، وتخبرني من أي شيء تحرسها.

ولكن قبلها أخبرني شيئا من باب الفضول، هل المسخ الأخير الذي واجهناه، قد تشوه بالفعل عند عبوره الثغرة، ففي جسده كان يمتزج اللحم بالمعدن، كما أن هيئته كانت عشوائية بشكل غريب؟".

صمت الشيطان المعدني آتوم قليلا، وكأنه يدير الأمر في رأسه، قبل أن يقول بلا حذر، وكأنه أدرك أنه لا خطر منا:

- "الساكورا كائن نجمي مسالم جدا، وهذه هي بنيته الطبيعية التي لا أرى فيها عيبا، ربما في كونكما البدائي مازلتم تقيمون الكائنات الحية بشكلها، وهو مقياس خاطئ جدا، لأني رغم أنني أراكما أقبح مخلوقات الكون، إلا أنني أتعامل معكما بحيادية، فجوهر الكائن الحي هو المهم.. والساكورا من أنقى المخلوقات الحية وأكثرها لطفا.

مهاجمته لك وحدك لم تكن عشوائية، ولم تكن لقتلك أو للعبث بك كما كنت تعتقد، بل كان يساعد جسدك على تقبل التحولات الكثيرة التي كانت تحدث له، على المستوى المادي، والطيفي، والنجمي.

وكان يعالجه ويداويه باستخدام ما تحويه مخالبه من مواد نادرة، من طفيلي أصابك في مواجهتك مع الكائن المفترس الثاني، الذي كان يسعى لالتهامك، وأنقذتك

أنا منه مستخدما تقنيات القبة العازلة، إنه رسول سلام لا شر، أنت فقط لم تفهم الرسالة بشكل صحيح".

الحقيقة أنني في هذه اللحظة شعرت بأنني أحمق كبير، وتسرعي الدائم يضعني في مواقف محرجة كثيرة، ولكن لي كل العذر مع كل الأهوال التي أواجهها، منذ قابلت نوارة.

دارت كل هذه الأفكار في عقلي، متجاهلا أنني ونوارة وآتوم متصلين عقليا، فشعرت بحزن نوارة، ودوت أفكار آتوم في عقلي قائلا:

- "لقد عانيت كثيرا أيها المخلوق الهش.. والبعض قدر له أن يعاني أكثر من غيره.. لا شيء في الوجود يحدث عشوائيا، حتى وجودك هنا لابد أنه لحكمة ما، جنسك للأسف من النوع العجول الذي يتبع غرائزه لا أكثر، تواجدي هنا لسبب، كما أن تواجدك هنا أيضا لسبب لم تكتشفه بعد".

وهنا سألته بسرعة ودون تفكير:

- "وهل تعرف أنت السبب؟".

صمت قليلا ثم قال:

- "على كل شخص أن يكتشف طريقه بنفسه".

أحنقني جوابه، فقلت:

- "لم تجب على باقي تساؤلاتي.. ماهي البوابة النجمية التاسعة، ومن أي شيء تحرسها؟".

رمقني بصمت للحظات، قبل أن يقول:

- "إنك عدائي بشكل كبير.. ولكن جوهرك يخبرني أنك لست بهذا السوء.. لذلك سأجيب على تساؤلاتك.. ولتعلم في البداية أن الكون في هذه المنطقة مضطرب

جدا، والبوابة النجمية التاسعة وسيلة ضمن وسائل عدة لمعادلة هذا الاضطراب، وحصر الشذوذ الذي نشأ في هذه المنطقة دون سبب واضح، كي لا يبتلع كل منظومات الحياة الموجودة في الأكوان المتعددة، وهي في نفس الوقت وسيلة للانتقال عبر الأبعاد، والأكوان الموازية، خلال خطوط الزمان المتقاطعة، وهي إحدى البوابات العشر، التي تربط الأكوان الداخلية بالكون الخارجي الأعظم، والحيز غير المعلوم..".

شعرت أنه يتحدث بلغة سرمدية لا أفهمها، مع كثرة المصطلحات التي يتكلم عنها ببساطة، وكأنها مسلمات فقاطعته قائلا:

- "هل معنى كلامك هذا، أن هناك أكوان متعددة تغص بالمخلوقات الحية الذكية، وهذه الأكوان التي تطلقون عليها الأكوان الداخلية، تقع ضمن كون آخر أكبر، وبقلب هذا الكون نشأ اضطراب غير مفهوم، تحاولون حصره، باستخدام عشر بوابات مماثلة؟".

رمقني آتوم المعدني للحظات قبل أن يقول:

- "تحليلك لم يختلف عما أخبرتك به منذ لحظات، ولأوضح الفكرة أكثر، أخبرك أن البوابات كانت وسيلة خاصة لمخلوقات عالمنا للانتقال عبر الأكوان المتعددة، ونافذتنا لاستكشاف الكون الخارجي الأعظم بحثا عما يوجد خارجه في الحيز غير المعلوم.

وعندما حدث الشذوذ الكوني، ومزق نسيج الزمكان، قمنا بتطوير آلية لحصر الضرر المتفاقم، وعليه أصبحت البوابات النجمية هي الآلية المثلى لإعادة التوازن الكوني".

قالها ثم أخرج جهازا صغيرا، سداسي الشكل يشبه إحدى خلايا النحل، ولا يزيد حجمه عن حجم هاتف محمول حديث، وقال:

- "كان هذا الجهاز المحدود هو نفسه البوابة النجمية في شكلها القديم، وبرغم حجمه الصغير، كان قادرا على نقل أسطول كامل من سفننا النجمية عبر الأكوان المتعددة، بتقنيات كونية لن تتوصلوا إليها قبل عشرة آلاف عام.

نشوء الشذوذ والاضطراب المجهولين جعلنا نطوره إلى هذا الحجم الرهيب الذي يصل لحجم قمر متوسط الحجم، وعن طريقه نستطيع الآن نقل مجموعات شمسية كاملة لننقذها من براثن الشذوذ المدمر والمتمدد، الشذوذ الذي نتج من حيث أتيتما، ومن حيث تأتي تلك المسوخ المفعمة بالشر".

قرن حديثه بأن أشار إلى جزء من الجدار الأبيض المحيط بنا، وعلى الفور توتر الجدار، وتلاشى وكأنه صورة هولوجرامية غير مستقرة، وظهرت خلفه مجموعة من الكبسولات المعدنية المتراصة إلى مالا نهاية.

والتي يتواجد بداخل كل منها أحد تلك المخلوقات غريبة الهيئة التي سبقتنا إلى المكان، والتي كانت تنتصب بثبات لا واعي في قلب الزنزانين الإلكترونية، وضوء أبيض ناصع يقوم بفحصها، وإرسال بياناتها الحيوية إلى مكان ما.

نظرت لآتوم باستنكار وقلت:

- "أي نوع من المعتقلات هذا؟".

أجاب بهدوء:

- "إنه نوع متطور للغالية من آليات الاحتواء والفحص والسيطرة، ما لم أخبرك به حتى الآن، أنه برغم تطورنا، وما توصلنا إليه من علوم وتكنولوجيا ومعارف، إلا أن الكون يفاجئنا بالمزيد والمزيد من الأشياء والأمور التي تثبت لنا جهلنا طوال الوقت.. فما زلنا على جهلنا بسبب نشوء ذلك الشذوذ، برغم أننا أدركنا بعد استخلاص ذكرياتكما، أنكم تطلقون عليه في كونكم اسم السحر.

وهو شيء لا قواعد له، وما زلنا عاجزين عن تفسيره أو استنباط طريقة عمله،

ومازلنا نكافح لحصر أخطاره، ومازلنا نكافح لتحييد المتسللين، وقراءة عقولهم لنصل لوسيلة للقضاء على هذا الشذوذ الزمكاني، وكل هذا يتم بصورة آلية أقرب للكمال، فعلومنا ....".

وهنا قاطعته بسرعة قائلا:

- "إن كان كل شيء يتم بشكل آلي، وأنت كائن حي - مازلت غير مقتنع بالأمر - فما فائدة وجودك كحارس للبوابة، وما هو مصيرنا ومصير تلك المخلوقات المحتجزة؟".

رد بنفس الطريقة الهادئة، وهو يشير للجدار الذي توتر وعاد لسيرته الأولى بغير سوء وقال:

- "إن وجودكما ووجود كل هذه المخلوقات هنا في البوابة النجمية التاسعة مؤقت، ولو أن عقولكما أكثر تطورا لأدركتما أن بنيتكما الخلوية تتهاوى، وأن هناك قوى كونية غامضة تسحبكما إلى خارج كوننا المضطرب".

هنا انقبض قلبي بشدة، وتذكرت الظلام الحي، والعينين المفزعتين، والنداء، وسمعت شهقة نوارة، وهي تشاركني تلك الذكرى الرهيبة مع تواصلنا عقليا، ولكني تجاهلت كل ردود الفعل، وعدت أنصت لآتوم الذي كان يقول معلومات شديدة الخطورة:

- "أنا هنا لأحمي المكان من المتسللين الذين لا يمكن احتواؤهم بالوسائل التقنية المعروفة، ولأشرف على الوضع بنفسي فالأمر يتفاقم، فكل اختراقات حاجز الزمكان تضعف من بنية الكون ونسيجه، وستؤدي في النهاية لدمار محتم، وهلاك أكوان كاملة بحضاراتها ومخلوقاتها..

الأمر أكبر من تخيلكما، وتفكيركما.

والمخيف والمختلف في وجودكما هنا، أن ظهوركما في منطقة الاحتواء، سرع

من وتيرة الانهيار الكوني، ومن فحصكما تبين أنكما متصلين، بطاقة هائلة سوداء في عالمكما لم نستطع استيعابها أو فهمها.

هذه الطاقة حية بشكل غير مفهوم، ووجودكما في قبة الاحتواء، كان يمنع تلك القوة السوداء الرهيبة، من جذبكم إلى عالمها الرهيب، ولكن اختراقكم للقبة، ووجودكما هنا، قلل من فرص نجاتكما..

والاضطراب الذي حدث لأجسادكما، لن يكون الأخير، لقد حاولنا الاحتفاظ بكما معنا ولكننا فشلنا.. وقدركما أن تواصلا رحلتكما".

وهنا وللمرة الأولى تسبقني نوارة وتسأل:

- "وكيف سنواصل رحلتنا هذه، وكيف سنواجه هذه القوة السوداء المشؤومة؟".

هز آتوم رأسه وقال:

- "نحن من اعترض مسار رحلتكما، وحررناكما من أسر تلك القوى المظلمة التي حاولت جذبكما لعالمها وأنتما أسفل القبة، ولكن كيانكما مازال مرتبطا بكونكما، ستغادران بوابتنا النجمية التي تقع في إحدى نقاط تلاقي الأكوان، وستنتقلان إلى حيث قدر لكما، ولا يمكن لأحد أن يواجه تلك القوة السوداء الغاشمة، إنها بداية النهاية لهذه الدورة الكونية من الحياة".

وهنا قلت في غضب:

- "إن كنت تؤمن بأن كل شيء مقدر، فلماذا اعترضتم مسارنا من البداية، ولماذا حاولتم إيقاف الشذوذ المتفاقم، ولماذا تحذرنا من تلك القوة السوداء الرهيبة، التي ستفني مخلوقات الكون، لتبدأ دورة حياة جديدة، أليس كل هذا مقدر أيضا؟".

هز آتوم رأسه، وقال بنفس الهدوء:

- "إجابة سؤالك أبسط مما تتصور.. لقد قدر للشذوذ أن يحدث، وقدر لكما أن يرتبط مصيركما بكيان كوني غامض، وقدر لنا أن نقاتل، وقدر أيضا أن نفشل، لتبدآ أنتما قدركما الخاص وتخوضان حربكما الخاصة، كل شيء مقدر، وبرغم ذلك علينا أن نبذل كل ما بوسعنا، لتحقيق هذا القدر، فلا تعارض هناك".

أدرت الأمر في رأسي، فوجدته يتحدث بمنطق المعضلات البيزنطية، كتلك التي يقولون فيها: إن كان شخصٌ من كريت يقول أن كل أهل كريت كاذبون، فهل هو صادق أم كاذب!؟

لذا فإنني سألته:

- "وهل قدرنا أن نأتي هنا لنراك فقط وننصرف، أم أن هناك هدف آخر لا أعرفه؟".

وهنا أجابت نوارة بسرعة وقالت:

- "الأمر لم يكن عبثيا أو عشوائيا كما قال آتوم، لو أنه مقدر لك خوض معركة حقيقية، فلابد أن التحولات التي حدثت لك تحت القبة العازلة وأثرت على جسدك هي السبب، أنت تغيرت كثيرا، ولكنك لم تلاحظ الفرق حتى الآن من فرط تلاحق الأحداث..

كما أننا عرفنا جزءا مما يواجهنا، وعرفنا أن آتوم وقومه في صفنا.. ويكفي أننا سنكون معًا، حتى لو جبنا الأكوان جميعها..

لو كانت هناك خطة من القدر من أجلنا، فكل ما علينا القيام به، هو اتباع قدرنا".

برغم أن نوارة ألقت الكلام ببساطة، إلا أنه أثر في روحي كثيرا، فكل نوافذ روحي مهيأة لاستقبال شموس كلماتها، ولذلك منحت لنوارة نظرة امتنان كبيرة..

إن وجودها بجواري فارق.. فارق جدًا.

كنت أدرك أن بعض النصائح حينما تأتي من أشخاص مقربون لقلوبنا، فإنها تحقق مفعولها على الفور.. .

ومع نوارة كنت على استعداد لخوض الجحيم ذاته، لمجرد أن الأمر يروق لها فقط.. فهي قدري الذي لا أستطيع الاستغناء عنه.

وبالطبع انتقلت كل هذه الأفكار لعقلي آتوم ونوارة، وقبل أن أرصد تفاعلهما معها، بدأ جسدي وجسد نوارة في الاهتزاز.

وأدركت لحظتها أن كل كلمة قالها آتوم كانت حقيقية، وأنه يعلم أكثر مما أخبرنا به، وأنه كان يعدنا نفسيًا فقط للمواجهة الرهيبة القادمة.

وقبل أن ينهار جسدي تماما، شعرت بآتوم يقترب مني، ويضع في يدي الجهاز المسدس الشكل، الذي كان له ملمس غريب كملمس جلد الأفعى، ويقول بكل جدية:

- "لو نفدت خياراتكما، استعملا تلك البوابة النجمية، إن طاقتها ستعمل مرة واحدة فقط، وستنقلكما إلى هنا مهما كان موقعكما عبر الكون الأعظم.. إنها وسيلة نجاتكم الأخيرة فحافظوا عليها، وهي وسيلة لا يمكن تعقبها، على عكس تلك الوسيلة التي تستخدمها امرأتك والتي لها أثر مميز، ويسهل تتبعها بسبب بصمتها الروحية المشعة..

ولو فشلتما في تحقيق قدركما، عليكما بالعودة، فلن يكون هناك مكان آمن في الوجود مثل بوابتنا هذه.

ولكن هذا سيعني بقاءكما إلى الأبد، لأننا لن نسمح للشر باستعادتكما مرة أخرى، ونحن نطور منذ الآن آلية دعم ومقاومة جديدة.. كما أن هذا الجهاز المحدود يحتوي طاقة عظيمة فحذاري من سوء التعامل معه".

لم أستطع أن أجيب آتوم، لأني كنت أتلوى من الألم، بينما أن ما جال في خاطري حينها، أن قدرنا قادنا لآتوم الذي لا يشبه البشر في هيئته، والذي له قرون معدنية كقرون الشياطين، ليمنحنا الأمل، في مفارقة غريبة، وهو نفس القدر الذي يجذبنا الآن صوب الجحيم..

لا أعرف لماذا اختارتنا الأقدار لنخوض هذه المعركة، رغم أننا انهزمنا في معركة عالمي؟

في الأمر سر وحكمة..

ومن الواضح أننا سنعاني كثيرا حتى نصل إليها..

هذا لو قدر لنا أن نصل.

قال بصوت عالٍ: أنا خائف.
كانت النوافذ محكمة الإغلاق.
فارتفع الصدى واتسع: أنا خائف.
صَمَتَ.
لكن الجدران رددت: أنا خائف.

قال أنا خائف: للشاعر محمود درويش.

أنا خائف

- 1 -

تيار الهواء الذي اصطدم بوجهي، وأعادني إلى وعيي هذه المرة، كان باردا برغم صفاء الجو، وإن كان يحمل رائحة الأرض المحروثة، والأزهار العطرية، مختلطا برائحة عضوية لم أستطع تحديد ماهيتها، ولكنني أحببتها وتماهيت معها.

السماء نفسها كانت شديدة الصفاء، لا يلوث صفحتها دخان أو غبار أو سحب، والنجوم تتألق كحبات من الدر.

لوحة إعجازية للخالق العظيم، يتوسطها قمر فضي لامع، لابد وأنه ينتظر عاشقان متلهفان ليناجياه، فيوصل رسالة كل منهما للآخر، لتبدأ قصة حب جديدة يرعاها؛ تسليه في ليالي وحدته.

سماء عادية جدا، كنت أراها كل يوم في عالمي، دون أن تلفت نظري أو أبالي بوجودها، فلأين ستذهب السماء، نحن من نذهب فقط!

وهي نظرة قاصرة جدا، تقوم على أن كل الأشياء المهمة في حياتنا، يصبح وجودها من المسلمات حتى نفقدها، وساعتها، وساعتها فقط نشعر بقيمتها وأهميتها..

كالزوجة المحبة، والصحة، وراحة البال، وسماء مليئة بالنجوم.

كل شيء عادي بشكل رائع.

إنها مرحلة أن ترى كل شيء معتاد إعجازيا، بعد أن كنت تصارع لتنجو بحياتك بين الوحوش والمسوخ.

والآن لن تجد أحد في الكون بمثل سعادتي، لمجرد رؤية السماء بنجومها وصفائها، فهي تعني أننا عدنا..

لم نعد أسرى في ذلك الوضع الغريب، الذي قاسيت فيه الأمرين..

لم يعد هناك مسوخ..

ولا آتوم..

ولا قبة عازلة.

كل شيء حولنا، حميمي ومعتاد، ويمنحنا بعض الأمل في أن نقابل مسوخ عالمنا الظرفاء، لا تلك المسوخ الرهيبة التي واجهناها في ذلك الكون المضطرب.

لن أنكر أن الانتقال هذه المرة كان سلسا، ولم يكن فوضويا كما حدث في المرة السابقة، ولا أدري إن كان لـ (آتوم) دور فيه أم لا.. يكفي النتائج في هذه المرحلة، ولا داعي لتكدير العقل بالأسباب.

تمزقات عديدة في ثيابي من آثار الهول السابق، ولكنها مازالت صالحة للاستخدام؛ حتى أستطيع استبدالها بأخرى أفضل، فلم يكن لدينا الوقت لاستبدالها، ولم يمر هذا بخاطرنا من الأساس..

الهواء منعش، حتى ولو كان على كوكب يبعد ملايين السنوات الضوئية من الأرض، وهذا جعلني أتمهل وأنا أفحص جسدي لتتملكني دهشة عظيمة.. فلا أثر للجروح.. ولا توابع للألم.. وكأن كل ما مررت به، هو مجرد حلم سخيف!

ولولا وجود جهاز الانتقال النجمي في قبضتي، لأيقنت أن ما مر بنا من أهوال، كان مجرد كابوس ثقيل، انتهى، وذهب إلى حال سبيله، وأن آتوم وقبته العازلة مجرد وهمان.

أعترف أن التجربة في ذلك الكون الموازي المضطرب كانت قاسية، وغير منصفة لنا، ولكننا ويا للعجب نجحنا في عبورها دون خسائر فادحة.

فقط ما يؤرقني الآن، أن هناك شيء ما لا أدري كنهه يدور تحت جلدي!

سلسلة هائلة من التغيرات والتحولات تجتاحني من الداخل بشكل يثير حفيظتي وتوتري..

بل وذعري.

ولا أعلم إن كان لها علاقة بالانتقال الفائق بين العوالم، أم أن لها علاقة بنوارة، أم شيء آخر لم أضعه في حسباني!

نوارة نفسها أخبرتني أن ما يحدث لي شيء عظيم، فقط هو لم ينته لأدرك أبعاده وكنه تطوراته..

وبرغم جهلي بكل ما يحدث، ومحاولة الاستمتاع بالجو الاستثنائي؛ إلا أن لدي يقين أن هذا التحول سيفاجئني أنا شخصيا.

كنت أتمنى لو قضيت وقتا أطول مع آتوم، ذلك الكائن الفضائي واسع المعرفة، لعلي أرضي غروري، بمعرفة حقائق عن الكون لم تصل لها حتى قريحة علمائنا المخضرمين بخيالهم الذي لا حدود له.

آتوم نفسه مازال لغزا عصيا على عقلي، ومازلت غير مستوعب أن الخير في ذلك الكون الموازي الذي تركناه خلفنا، يحمل ملامح شيطان عالمنا بمثل هذا الشكل الصريح والفج في ذات الوقت..

والصادم أنني لا أعرف من أين استقى شكله الخارجي هذا؟

وهل هو كائن حي بالفعل أم مجرد تقنية متقدمة وذكاء صناعي خارق؟

والسؤال هنا:

هل يمكن أن يكون الشيطان في النهاية مجرد روبوت هائل المعرفة، أو مخلوق نصف معدني، يعبر الأكوان مستخدما تكنولوجيا فائقة، تجعله في نظر بعض المخلوقات في مصاف الآلهة؟

أم هو مجرد انطباع خلفته في أعماقي تلك القرون المعدنية التي تعلو رأسه، التي أربطها دوما بشيطان عالمي الخفي، والذي لم أر له إلا صور غابرة تركها الأقدمون تبرزه بهذا الشكل.

تُرى أيهما أتى أولا؟

التساؤلات بحر، والغرق فيه مهلك.

لذا رحت أتأمل نوارة التي كانت تجلس أمامي صامتة متكورة على نفسها، على عكس عادتها مؤخرا بالثرثرة، وسط الأرض الشاسعة، المفعمة بالأزهار والحشائش التي امتدت أمامنا على مدى البصر.

وفي عينيها لمحت حزنا وقلقا غريبين، فاقتربت منها، فلم تحرك ساكنا، فسألتها في حذر من لا يريد أن يفسد أمسية مميزة:

- "ماذا هناك يا نوارة أأنت بخير؟".

ترفع عينيها نحوي ببطء، فألمح وجهها يتقلص، ودموعها الفسفورية الزاهية تغرق وجهها، فأقترب منها أكثر، وأضمها إلى صدري، فتقول بشيء من الجزع:

- "إنني خائفة يا يزيد .. خائفة بشدة؟".

أرمقها بدهشة، وأتساءل في هلع، وأنا أستعيد تجربتها الشنيعة مع تلك البكتريا الفضائية المشؤومة:

- "هل أصابك مكروه يا نوارة أثناء العبور؟".

تهز رأسها في بطء، وهي تجفف دموعها قائلة:

- "لا يا يزيد أنا على ما يرام.. ولكن منذ هبطنا على هذا الكوكب المشؤوم، وروحي تتألم، هناك شيء شرير بشكل مروع يسكن هذا العالم، وكأنه متغلغل ومتجذر في كل شيء، كما أنني عاجزة عن تحديد مكان الثغرة، لأخرجنا من هنا.. شيء قاهر يمنعني، ولا قدرة لدي على تحديد مصدره".

ربت على كتفيها برفق، فجفلت، فمسحت على شعرها الناعم وقلت:

- "هوني عليك يا نوارة، ربما روحك مثقلة من كل ما مررنا به، أو أن عقلك مرهق ويتفاعل ببطء مع المتغيرات في هذا العالم الجديد.. فكل شيء حولنا طبيعي.. النجوم .. القمر .. النسيم.. الأزهار.. الأرض غير الصناعية برغم كون ترابها أحمر اللون.. إننا لم نعد لعالمينا بالفعل، ولكننا في عالم طبيعي لا تسكنه المسوخ، ولسنا مهددين بالموت على مدار الساعة..

وعدم ظهور الثغرة يعني عدم ظهور المسوخ.. وهو شيء يدعوا للتفاؤل لا القلق.. وأي مكان سيجمعنا سويا سيكون جنتنا.. وهنا لن يختلف عن هناك ما دمنا معا".

وهنا غرغرت عيناها، فلمعت بشكل ساحر، فصارت مع الحزن أكثر فتنة، وهي تقول مستنكرة:

- "المسوخ هنا أكثر من أي مكان آخر يا يزيد، بل وأكثر وحشية.. إنني أشعر بها، وروحي تتمزق من هول ما تشعر به.. لابد أن نعثر على مكان الثغرة لنهرب من هذا الجحيم بأسرع وقت.. لقد أيقظ حضورنا شيئا مروعا.. شر خالص سحيق.. لا قبل لنا به.. غرائزي لا تكذب.. إنه شر مظلم.. مظلم بحق".

أفزعتني ردة فعلها، فحالتها لم تكن بمثل هذا السوء، ونحن نواجه المسوخ

الدموية أسفل القبلة أو قبلها في عالمي.

حاولت أن أتفاعل مع مخاوفها، وأن أجاريها فيما يقلقها ويثير ذعرها، ولكن الطقس من حولي كان شديد العذوبة، ولا يوحي بتلك الأهوال التي تحاول تحذيري منها!!

وإن لم أستطع تجاهل خوفها وقلقها كليا، فأنا بعد كل هذا الوقت الذي قضيته معها، تعلمت أن أثق في غريزتها وحدسها..

الشيء الذي يجبر نوارة على البكاء، ويصيبها بكل هذا الفزع غير المعتاد، لابد وأنه يتخطى الحدود المعروفة للخطر، وعلي ألا أنتقص منه، أو أقلل من خطورته رغم جهلي بطبيعته أو تأثيره علينا، ولذلك، سألتها في قلق:

- "المكان من حولنا شديد الهدوء والعذوبة، فمن أي مكان ستأتي المسوخ هذه المرة يا نوارة؟".

دمعة فسفورية لامعة تفر من عينها، فتتجاهلها، وهي تتلفت حولها في خوف قائلة:

- "كل المسوخ تحيا هنا في قلب الظلام.. إنها قريبة.. قريبة بشكل لا يصدق".

صوتها مع ذعرها ودموعها، وحركتها القلقة الموحية، كان له تأثيرٌ دراميٌ مروع على نفسيتي المتداعية، فبدأ ذعر خفي يتسلل إلى روحي..

وعلى أثره تلفتُّ حولي أمسح الظلام ببصري، دون أن أرصد ما تدعي وجوده، فعدت كاسف البال، محاولا تغيير دفة الحديث، لأتفادى كم الطاقة السلبية التي بثها حديث نوارة في عروقي وقلت:

- "إنني أشعر بجوع هائل يا نوارة، معدتي تحاول تعويض حرمانها من الطعام

الحقيقي خلال الأيام السابقة.. لنبدأ بالبحث عن مصدر للطعام، وبعدها نخوض في رحلتنا لتحديد مكان الثغرة، ولو تعقدت الأمور تماما، فلدينا وسيلة هروب مميزة، لنعد إلى آتوم".

هزت رأسها في سخط وقالت:

- "يبدو أنك أصبحت قليل التركيز مؤخرا يا يزيد.. آتوم عندما منحنا مفتاح البوابة النجمية، منحنا فقط وسيلة أخيرة للخلاص والهرب، لو استخدمناها سنظل عالقين معه في بوابته النجمية إلى الأبد؛ هذا لو قدر لنا أن نصل إليها، إنها ليست وسيلة انتقال بل وسيلة نجاة أخيرة و..".

صمتت لحظة كأنها تسترجع شيئا ما تواريه في أعماق ذاكرتها، ثم استطردت قائلة:

- "وما قرأته في عقله قبل أن نغادر، أخبرني أن أجسادنا ربما لن تتحمل رحلة جديدة إلى كونه الموازي المضطرب، إن خلايانا تتكيف بصعوبة على الانتقال عبر عوالم كوننا، لابد من أن يتم الانتقال عبر الثغرة، وهذه المرة أشعر بعجز رهيب".

الخوف عدوى.. والمشاعر السلبية عدوى.. ومع نوارة اكتشفت أن الشعور بالعجز أيضا عدوى..

وهذا ما قررت ألا أصاب به، فلا أعرف إن كانت مخلوقات عالمها تصاب بالاكتئاب أم لا ..

لكنها وبكل بساطة في طريقها إليه..

وهو شيء أعجز عن استيعابه، أكثر من الوحوش والمسوخ ونظريات العوالم الموازية.

فالمسوخ النفسية لا يمكن قتالها بسهولة، ولها الغلبة في النهاية، فكم فتك الاكتئاب بأرواح معذبة.

لذا فإنني نهضت من مكاني على الفور، وجذبت نوارة من يدها لتنهض هي الأخرى، وقلت لها وأنا أتهيأ لأسحبها خلفي كأم تسحب طفلها الصغير المتمرد:

- "سنواجه كل مشكلة في حينها يا نوارتي، من يصدق أننا نجونا من كل الأهوال التي واجهتنا، إننا معا قادران على هزيمة أي شيء، فقط علينا ألا نستسلم لمخاوفنا".

نهضت من مكانها، ونظرت في عيني، قبل أن تقول في قنوط:

- "إنه مخيف يا يزيد.. أكثر شيء مخيف في العالم.. أكثر من الشيخ أبو الرجال؛ الذي أخبرتني عنه ذات مرة".

كتمت ابتسامتي من طرافة وصفها، وتذكرها للشيخ الكفيف محفظ القرآن أبو الرجال، الذي أرسلني أبي إليه ليحفظني القرآن، فمدني على الفلقة حتى تقرحت قدماي.

وظل أثر هذا الموقف في عقلي لفترة طويلة.. لذا قبضت على يديها بقوة، وأنا أزرع عيني في عينها وقلت:

- "ليكن ما يكون.. عليه أن يتخطاني أولا قبل أن يمس شعرة منك".

منحتني نظرة امتنان طويلة، ثم ابتسمت وهي تقبض على يدي برقة، ثم قالت في اهتمام، وكأنها ككل الأطفال نسيت مخاوفها، وتبدل اهتمامها في لحظة:

- "وماذا سنأكل الآن؟".

شعرت براحة عظيمة من سؤالها هذا، فهو يعني أنها أخيرا اقتنعت بكلامي، وقررت أن تتخطى حدود محنتها، وهذا مؤشر جيد..

حمدت الله على أنني لم أكن أمتلك أي من قدراتها الخارقة للمألوف لأتواصل مع ذلك الشيء الشرير الذي يثير في قلبها كل هذه المخاوف.

لأنني وقتها كنت سأسقط في نفس الفخ النفسي الذي سقطت فيه، وساعتها ربما عمدنا سويا إلى الانتحار.

طردت تلك الأفكار السوداء من رأسي، ثم أخذت أتفحص المكان المظلم من حولي، والخالي من أي شيء يصلح؛ أن نكافئ به تلك المعدة المسكينة التي صمدت لكل هذا الوقت..

هل نأكل الأزهار أم نبحث أكثر؟!

أنا مستعد أن أتناول الحصى لو أنه سيخرس نباح معدتي؟ ولكن من أجل نوارة فلأبحث أكثر.

ربت على بطني، وكأنني أطمئن معدتي المتقلصة، بأنني عدلت عن فكرة تناول الحصى، ثم سحبت نوارة خلفي.

الرائحة العطرية العضوية الغريبة التي تعبق المكان تعبث بعقلي ومشاعري، لدرجة أني أكاد أجثو على ركبتي وأطلب يدها للزواج..

أقاوم تلك المشاعر العجيبة، ذات التوقيت الأعجب، وأنا أسير بخطوات واسعة، معتمدا على غريزتي وحاستي السادسة التي لا تتعلق إلا بالطعام، والتي لم تخيب ظني يوما..

أفحص الحقول التي تغص بعشرات الأنواع من الزهور، لعلي أجد بينها ما هو صالح للأكل..

أتفادى تلك الفجوات العملاقة المتناثرة في كل مكان، والتي يخرج منها بخار حار، وكأن قلب الأرض يغلي، وهذا البخار يفوح بتلك الرائحة العضوية الزكية بشكل أكثر تركيزا، وكأنه فواحة طبيعية عملاقة.

الوقت يمر..

والأرض الترابية تنحسر بلونها الأحمر، لتظهر لنا أرض أخرى من الرمال الناعمة الصفراء التي صارت رمادية شاحبة بسبب ضوء القمر الفضي، فأفكر إما أنها صحراء قريبة، أو هناك من فرش الرمال تمهيدا لإنشاء شيء لا أعرفه..

لا رائحة لليود، فبالتالي لا بحر قريب، وهو شيء غير مؤكد فربما البحر هنا له رائحة مختلفة..

أتخطى تبة رملية متوسطة الارتفاع، وأدور حولها، لأجد مساحات أخرى شاسعة من الحقول، بعضها محروث، وبعضها نبتت به بعض النباتات الكأسية ذات اللون القرمزي، والتي وصل ارتفاع بعضها لمتر كامل، والتي أخبرتني نوارة أن لديهم شبيه لها في عالمها، وهي غير صالحة للأكل..

لذا تخطيتها جميعا؛ ثم واصلت رحلتي متحاشيا أن أسقط في تلك الفجوات العملاقة التي تنفث البخار العطري، ونوارة خلفي شاحبة صامتة، تجرجر قلقها وخوفها معها، وتتلفت كل بضع دقائق حولها، حتى أصبحت أتحرك بتوتر وعصبية..

أنهكني السير، والضغط النفسي والعصبي الذي تمارسه نوارة على روحي بصمتها وقلقها المتزايد، فوقفت لأستريح قليلا، وأنا أتأمل الأرض الخالية من النباتات التي انتهى إليها بحثي، وقد شعرت بيأس عظيم..

كل هذا المجهود والسير ضاع هباءً..

وعندما هممت بالاستدارة نحو نوارة، لأبدأ بإقناعها بالعودة وتناول الزهور، لمحت على يساري حقل ذرة لا يبتعد عنا كثيرا.

عندما رأيته أجفلت، فتشبثت بي نوارة في قوة كادت تصيبني بالأذى، عندما لم تتحكم في القوة التي تتعامل بها مع ذراعي، وهي تقول:

- "ماذا هناك يا يزيد.. هل رأيت ما أفزعك؟".

يا إلهي إن حالتها تتدهور بالفعل!!

ولا أعرف ما الذي يثير خوفها إلى هذه الدرجة الهستيرية، إنها تمتلك قدرات عظيمة مكنتها من مواجهة مسوخ الثغرة، فماذا يوجد هنا أكثر إفزاعا، لتنهار بهذا الشكل؟

كان علي أن أجيبها بسرعة، كي تخفف قبضتها القوية عن ذراعي الذي بدأ يصاب بالخدر، فقلت وأنا أشير لحقل الذرة المتراصة أعواده بنظام مثير للتأمل، والغنية بالثمار الشهية على مدى البصر:

- "لا شيء يا نوارة لقد عثرت على مصدر للطعام.. وكان هذا رد فعل عفوي بعد أن يئست من العثور عليه".

عقلها لم يكن في كامل تركيزه معي، وإلا لكشفت كذبي من اللحظة الأولي، فما أثار خوفي حقا..

هو حقل الذرة ذاته..

ففي لحظة لم يكن هنا، وفي اللحظة التالية أصبح ملء العين والبصر، وكأنما نبت من العدم، ليحتل الأفق بالكامل..

التوتر أصبح سيد الموقف والمكان، لذا أقنعت نفسي بأن ما شعرت به هو مجرد هاجس جراء الإرهاق، وألاعيب الظلام والجوع، ولا داعي لأثير مخاوفي أو مخاوف نوارة أكثر.

أشرت لحقل الذرة، وعلى وجهي نظرة المنتصر، وقلت كشيف محترف، يحاول إبهار مشاهديه:

- "ستأكلين أحلى ذرة مشوية في كل العوالم".

ابتسمت نصف ابتسامة، وكأنها تجاريني، وقالت:

- "وحتى ولو كانت أسوأ ذرة في الكون، فمن يدك ستكون الأشهى".

تحيرت لوهلة من عبارتها التي لم أعرف إن كانت مدحا أم ذما، ولكني على كل حال تقبلتها منها، وتقدمت صوب الحقل الذي بدا لي طبيعيا لا لبس فيه..

وبعين محترف، أخذت أبحث عن كيزان الذرة الخضراء الطرية، وأنا أفكر أنه طالما هناك حقول ذرة فلابد وأن هناك فلاحون، وهذا يعني أن هناك قرية قريبة.

سننتهي من طعامنا، وبعدها نكتشف هذا العالم الجديد.

نزعت أربعة كيزان من الذرة الناضجة، وأخرجتها من أغلفتها، ثم رصصت أسفلها مجموعة من عيدان الذرة اليابسة، وبعض الأغصان الجافة، ووقفت أفكر في وسيلة لإشعال النار.

كنت أعرف أن هناك وسيلتان شهيرتان، لإشعال النيران في غياب القداحة والثقاب:

الأولى باستخدام حجرين صلبين، واصطدامهما ببعضهما البعض، فتنتج شرارة كافية لإشعال النار، وأعتقد أن حجر الصوان أفضل الوسائل لذلك، وإن كنت لا

أعتقد أنه سيتوفر في هذا المكان لمجرد أنني جائع.. كما أن البشرية توقفت عن استخدامه منذ العصر الحجري.

والثانية باستخدام احتكاك أحد الأغصان الجافة بقطعة من الخشب الجاف أيضا، فتتولد حرارة كافية لإشعال بعض الأعشاب، فتولد النار الكافية لإنضاج الذرة.

ولكن ما حدث تاليا، كان مرعبا.

فقد اشتعلت النيران من تلقاء نفسها في عيدان الذرة، والأغصان الجافة، مما جعلني أنتفض في مكاني، وقلبي يصرخ من المفاجأة.

الكوكب مسكون بالفعل..

ولم يكن هذا ما صدمني، على العكس فكل المؤشرات تؤكده، بل ما صدمني هو نوعية قاطنيه..

فإن كنت أتمنى من أعماقي العثور على أحياء على هذا الكوكب الغامض، فأتمنى أن يكونوا بشرا طبيعيين، أو مخلوقات ذكية متطورة لديها حضارة، لا سحرة، ولا مشعوذين خفيين، قادرين على إشعال النيران عن بعد، وإفزاعنا بهذا الشكل.

لعنت من أشعل النار في سري، فقد فسدت على يديه كل جهودي، وعادت المخاوف لتحاصر نوارة، وتثير ذعرها..

بل ومسني القلق بعصاته، فلم أعد خير معين لها، خاصة وأنها تستطيع الشعور بقلقي وتوتري..

وليس مبشرا بالخير أبدا أن يستقبلنا قاطنوا هذا الكوكب بمثل هذه الألاعيب.

نظرت للنيران بذعر ثم فحصت المكان من حولي..

كل شيء هادئ لا تغير فيه، والكوكب على صمته وكأن كل من به أموات، وأنا من أتوهم كل شيء.

أطيل النظر لأمسح الأفق البعيد بعينين قلقتين منزعجتين..

لا شيء على البعد سوى الظلام..

وبرغم أني حاولت أن أطمئن نوارة، التي عاد الفزع يرتسم على ملامحها، إلا أنها تجاهلتني، وأخذت تتلفت حولها في خوف، وهي تردد دون توقف، وبهستيريا متصاعدة:

- "لابد أن نعثر على مكان الثغرة.. لابد يا يزيد.. الثغرة هي المهرب الوحيد.. إنه شر مستطير".

أخذت أرمق حقل الذرة بنظرة ثابتة، وكأني أطالبه بأن يظهر ما يخفيه.. فعاد صوت نوارة المذعور يصدم أذني:

- "ثم لماذا هذا الصمت القاتل، لماذا لا نسمع أي أصوات لطيور أو مخلوقات ليلية في المكان؟".

لم أجد إجابة شافية أمنحها لها، فمع كل هذه الحقول، وهذا الخير الوفير، لابد على الأقل من صوت صرصور حقل، أو نقيق ضفدع، أو عواء ذئب أو نباح كلب، أو هديل بومة، أو أي مخلوقات مماثلة تنتمي لهذا الكوكب العجيب..

أي شيء يبدد وحشة الليل الصموت هذا..

أي شيء حي يخبرنا أن هذا المكان آمن.

لقد أثار تساؤل نوارة مخاوفي أكثر، وتوترت أكثر وأكثر عندما أدركت مع تواصلنا التخاطري أن عقل نوارة الباطن يلوذ بي..

حاولت مساندتها، فتشبعت أنا - للأسف - بمخاوفها التي كانت تتعاظم مع الوقت..

ثم ارتج كياني وغشيني خوف عظيم، عندما صرخت في قوة، وكأنها تعاني أو تصارع شيئا خفيا لا أراه:

- "الآن أعرف من فعلها.. أعرف من أشعل النار؟".

نظرت لها في دهشة وقلت:

- "من هو.. وكيف عرفت ذلك؟".

رفعت كتفيها لتعبر عن جهلها وقالت:

- "الإجابة جاءت إلى عقلي وحدها كطعنة خنجر سام.. إنه كيان خارق.. شمظلم.. مروع.. بارد.. تواصل معي للحظات قبل أن أفقد هذا الاتصال، إنه مخيف يا يزيد مخيف لأقصى مدى.. الشيخ أبو الرجال بجواره حمل وديع".

لم أبتسم لطرافة وصفها هذه المرة، بل شعرت بقلبي يدق بعنف، فسألتها في هلع:

- "وما هي هذه الإجابة يا نوارة؟".

تطلعت حولها بخوف، وحركت مقلتيها لأعلى، وكأنها حائرة في معرفة التوصيف الصحيح لهذا الشيء الغامض الذي تواصلت معه، ثم قالت بصوت مضطرب:

- "إنه العفريت".

إجابتها كانت صادمة، وغير متوقعة، فكتمت أنفاسي للحظة من المفاجأة وغرابة المعلومة، ثم أطلقت ضحكة عصبية هستيرية طويلة أفرغت فيها توتري وقلقي، ورددت كلمتها الأخيرة متسائلا بسخرية:

- "العفريت؟!".

تجاهلت سخريتي التي أثارت ضيقها، وهزت رأسها في ذعر حقيقي، لتؤكد على معلومتها ثم قالت:

- "نعم إنه العفريت يا يزيد.. عليك أن تصدقني.. لابد أن نهرب قبل فوات الأوان".

وهنا أُسقط في يدي..

وأدركت أن الأمر يخيفها بشكل هستيري، وأن ردة فعلي معها، كان على عكس المتوقع منها..

اللفظ نفسه هو ما أثار حفيظتي، فليس بعد كل هذا الهلع والتوتر، يكون الشر على هذا الكوكب مجرد عفريت، إنه شيء لا يخيف من عاش في المقابر، وتعامل طوال حياته مع الجثث والموتى..

العفريت!!!

أعرف أنها دوما ما تنتقي مفردات مشتركة للحديث بيننا، وكان من الممكن أن تختار لفظ الشرير الذي اعتادت استخدامه.. ولكن التحديد جعل الأمر بالنسبة لي كالنكتة غير المتوقعة..

ردة فعلها توضح لي أنها لا تمزح، وهذا أجبرني على أن أتعاطى مع الأمر بجدية أكبر..

في صغري كنا نطلق على كل غامض ومخيف لفظ (العفريت) ربما هذا ما كانت تعنيه، وما واجهته أنا بسخرية وتسفيه.

الخوف المرتسم على محياها أثار شفقتي عليها، فظهرت لعيني كطفلة تحتاج للحماية، لذا كسوت وجهي ببعض الجدية الزائفة وقلت:

- "في عالمي كنا نخيف الصغار بهذا العفريت، ولكنه لم يظهر لهم ولو مرة، إنه غيب ومجهول لا حقيقة متجسدة، يمكنها الحضور بسهولة".

تجمدت نظراتها للحظات، ووجدتها تقول ببطء:

- "وهنا.. يخيف العفريت الكبار أيضًا، ويظهر لهم دوما، وربما يلتهم أرواحهم كذلك.. هنا يمكنك أن ترى العفريت ويراك.. ويمكنه التجسد والحضور بسهولة".

وعلى أثر كلماتها، سرت في بدني قشعريرة باردة، وتكاثف جليد الخوف فوق عمودي الفقري، ولأتغلب على الموقف الموتر للأعصاب قلت، وأنا أجثو بجوار النار المشتعلة وأقلب كيزان الذرة بغصن جاف:

- "ليكن جنا أو عفريتا أو حتى شيطانا يا نوارة.. إن كان يريد الفتك بي، فلن يحظى بي جائعا".

لم تجبني نوارة، فأخذت أقلب الذرة لبعض الوقت حريصا على ألا تحترق مني فأزيد الطين بلة، عندما سمعت جلبة عالية وصوت تفريغ هواء سريع، مع صرخة عاتية من نوارة، فاستدرت بكل كياني أبحث عنها، وأنا أحمل الغصن المشتعل في يدي كسلاح هزيل مرتجل، فلم أعثر لها أي أثر..

لقد اختفت نوارة!!

اختفت، وكأنما انشقت الأرض وابتلعتها.

وعندما صرخت باسمها..

تردد صدى صوتي في الكوكب الصامت، ثم زلزلت كياني، وجمدت الدماء في عروقي.. ضحكة باردة ماجنة كريهة..

وهنا أدركت أن العفريت شيء حقيقي..

وتهديد قائم.

وأنه قد حظي بأول ضحاياه..

ضحية فاتنة تدعى نوارة.

وللمرة الثانية منذ التقينا، أشعر بأنني فقدتها، وربما إلى الأبد.

وهذه المرة كنت خائفا..

خائفا بحق.

- 2 -

بفم مليء بالذرة، وقلب محترق، وقفت مترددا أمام مدخل البلدة ذات البوابة المعدنية المرتفعة، التي لا تختلف كثيرا عن بوابات القلاع المدرعة القديمة، والتي تمتد أسوارها الحجرية السميكة إلى قلب الظلام الكثيف الذي يغلف كل شيء حولها بشكل مريب، دون أن يقع بصري على حارس واحد يقوم بمهمة حراستها أو الدفاع عنها.

وبرغم أن عدم وجود حراسة يسهل مهمتي، إلا أنه يدعو بشكل كبير إلى القلق والارتياب، ويفتح باب الخيال والأفكار السوداء عن مصيرهم وسبب اختفائهم.

وهذا جعلني أتأمل البوابة المعدنية العملاقة برهبة، ثم أرمق الظلام الذي أصبح أكثر كثافة خارجها بتهيب، وأعبرها وأنا أتلفت حولي بحذر، وقلبي يخفق في قوة، متوقعا أن ألقي بنفسي، وبإرادتي إلى فخ مهلك.

الصمت المريب يمتد إلى الداخل، ومازالت ضحكة العفريت الباردة الماجنة تلقي صداها الكريه في روحي..

تلك الضحكة التي لم تصل إلي من خلال قناتي السمعية، بل من خلال خلايا عقلي المنهك المستهلك، والتي تدل على أن هناك شيء شرير.

وقادر.

ومطلع.

يسكن هذا المكان، ويتربص بنا منذ وطأت أقدامنا هذا الكوكب الملعون..

وهذا الشيء الشرير المختبئ في الظلام، والقادر على التواصل العقلي وإشعال النيران عن بعد، غافلني واختطف نوارة، وعلي أن أستعيدها مهما كان الثمن.

لذا قررت أن أركز بحثي في تلك المنطقة المجاورة للبوابة، فلم أكن أرغب في الابتعاد كثيرا عن المدخل، لعل نوارة تتمكن بوسيلة ما الوصول إلى البلدة واللحاق بي.

وبكل حذر بدأت رحلة البحث التي لم تكن بالصعوبة التي توقعتها، فكل شيء في البلدة منظم بشكل بارع.. الشوارع والمباني، وإشارات المرور، والحدائق.. كل شيء تم تصميمه بدقة هندسية عالية..

ومع كل مكان أقوم بتفتيشه كنت أصاب بحالة مضاعفة من الإحباط، ويتسرب اليأس إلى روحي.

أبراج الحراسة خالية..

والحدائق لا أثر لمخلوق فيها.

والبنايات مغلقة ومظلمة وصامتة.

لا أثر للحياة في ذلك الجزء من البلدة، وكأنها من المدن الجديدة التي لم تسكن قط، أو لم يتم افتتاحها بعد..

لذا جلست على مقعد حجري مقابل لنافورة مياه جافة.. تتوسط الميدان الفسيح الذي انتهى إليه بحثي، وبدأت في التهام كوز جديد من الذرة الخضراء الشهية.

إنه الكوز السابع الذي أنهيه في وقت قياسي!!

ألم أخبركم أنه منذ غادرتني نوارة، وقد سيطر على كياني جوع وحشي رهيب، عزوته لتلك التحولات المجهولة التي يموج بها جسدي..

لم يكن جوعا طبيعيا، لدرجة أني أنهيت كيزان الذرة المشوية التي تخصني، ثم أجهزت على التي تخص نوارة، بل وحملت معي بعض كيزان الذرة الخضراء الإضافية، والتي كنت أتناولها بنهم غير عادي دون أن أزعج نفسي بشيها.

استهلكت مني رحلة الوصول إلى البلدة ساعة كاملة، لم يقابلني خلالها كائن حي واحد، وهو شيء مازلت عاجزا عن تفسيره..

فهل هذا هو كوكب النباتات؟!

ولو كان!!

فهل النباتات تبني بلدانا، وتحيطها بالأسوار الحجرية، وتصنع لها بوابة معدنية ثقيلة، كالتي عبرتها أثناء دخولي؟

في الأمر سر مريب..

وربما لو حللته لوصلت لنوارة..

قررت أن أواصل رحلة بحثي لأعماق البلدة، فنهضت من مكاني، وجعلت الميدان خلفي، وتحركت للأمام عبر الشارع الرئيسي، متخطيا ملعب كرة قدم مهجور، ليداهمني على الفور إحساس غير مريح بأنني مراقب.

زاد هذا الإحساس المقلق من توتري، وحذري، وأنا أقوم بفحص مجموعة المباني التالية التي كان يحيط بها سور خشبي نصفي، مهتديا بضوء القمر الشحيح..

جميع المباني متشابهة بشكل غريب، وتظهر لعيني وكأنها تشع ظلام ثقيل كالذي يحيط بالبلدة.

الشوارع الجانبية ضيقة ونظيفة، كالشوارع الرئيسية، وكأن هناك من يعنى بها، ويحرص على نظافتها هي الأخرى.

لا لوحات إعلانية ولا أي رسوم أو نقوش تدل على طبيعة المكان..

أعرف أنني لو وجدت لوحات أو كتابات بلغة كونية غريبة، قد لا أعلم فحواها، أو ما تشير إليه، وإن كانت، فستكون مقياسا يدلني على أي درجة من السلم الحضاري وصل إليها قاطني الكوكب.

فهل هذا كوكب لا يعرف الكتابة أو الفنون؟

أتمنى أن يكون هذا هو أسوأ ما في المكان.

أتلفت حولي في قلق غير مبرر..

الشعور الثقيل بأني مراقب يتأصل بأعماقي..

أنظر خلفي على حين غرة، لا أثر لأي مخلوق، أو صوت يدل على وجود أحياء أو أي نشاط يمارس في هذا المكان الصامت، وكأنني وقعت في طريق بحثي على بلدة مهجورة تسكنها الأشباح.

أتفادى فجوة عملاقة تضخ البخار العطري العضوي في فضاء المكان، ويعبق صدري برائحتها العذبة..

ما سر هذه الفجوات الغريبة؟!

لا إجابة.

أتعمق أكثر في البلدة، التي تتكرر شوارعها ومبانيها بشكل مستفز، يدل على فقر في قريحة من صممها.

أعبر من شارع إلى ميدان ومن ميدان إلى شارع، إلى أن أصل إلى نفق ضيق ينتهي إلى منطقة شاسعة خالية من المباني أو الشوارع، يلتهم الظلام أطرافها حرفيا في مشهد مروع..

أقف أتأمل الظلام الزاحف نحو مباني ومنشآت البلدة، في ذعر متصاعد تحول مع الوقت إلى هلع حقيقي..

موجات هائلة من الظلام تتحرك ببطء وثقة من جنوب البلدة كـ تسونامي ثقيل، ويسحق كل ما يعترضه ويبتلعه بأعماقه في مشهد مروع، وكأن للظلام كيان مادي ملموس.

مبنى من عشرة طوابق يحيط به الظلام، ثم في لحظة واحدة ينضغط ويتفجر، ويذوب في قلب الظلام، الذي يواصل مسيرته المخيفة..

إن هذا الظلام شر مطلق..

شر متحرك..

لابد وأنه يراقبني الآن ويترقب الوقت الذي أغفل فيه ليلتهمني كما التهم البلدة..

هل يمكن أن يكون قد التهم نوارة؟

لا شيء يدل على الأمر ولا شيء ينفيه!

إن البحث عن إبرة في كومة قش أسهل من البحث عن نوارة في هذا الكوكب الميت..

ترى كم سيمضي من الوقت قبل أن يبتلع كامل البلدة، ويلتهمني..

أرمق الظلام الذي كان يصدر صوتا كفحيح الأفعى كلما سحق بداخله

أحد المباني، لينقبض قلبي في قوة، ولا أعرف إن كان صوت الصراخ والنحيب الذي تردد في عقلي حقيقيا أم لا..

الظلام يتقدم بثقة نحوي، فلا أجد بدا من الفرار، فأعبر النفق عكسيا، وكل أمل بداخلي يتبخر..

أجفل بعد مروري بالميدان الأخير، وأتلفت حولي..

ذلك الشعور المستفز بأني مراقب يثير أعصابي، فلا مؤشرات تدل على وجود من يقوم به..

أعود من نفس الطريق الذي قدمت منه، لن أتوه بالطبع رغم تشابه المباني لأنني أسلك طريقا واحدا مستقيما، فلست بالحماقة الكافية التي تجعلني أتحرك في دوائر، أو بطريقة عشوائية فكفاني ضياعا.

أعيد تأمل البنايات الساكنة، فيخبرني عقلي المنهك أنه لا يمكن أن تبني نفسها بنفسها، وأن من بناها شخص عاقل، ويمتلك الذكاء والمعرفة أيضا.

وإن ظل مسيطرا على تفكيري أن هناك شيء خاطئ في هذه المباني لا أدري تفسيره.

لابد من العثور على نوارة، قبل أن يلتهم الظلام البلدة ويلتهمني.

هل أبدأ بطرق الأبواب؟

لقد أجلت الأمر متعمدا، لعل من بداخلها يفصحون عن أنفسهم دون تدخل مني، ودون أن يزعجهم وجودي أو تطفلي؟! فزوار الليل غير مرحب بهم في كل مكان.

وربما كان قاطنوها من النوع الفظ، أو أنها تحتجز خلفها مسوخ هذا العالم وأشراره، فقد يشبه هذا العالم عالمي في الكثير من تفاصيله، إلا أن مخلوقاته قد لا تشبه البشر..

إن السيناريو الوحيد لكون كل هذه الشوارع خالية، والأبواب مغلقة - غير أنهم أموات - هو أنهم مختبئون، من شيء يفزعهم.

وربما هو نفس الشيء الذي أفزع نوارة وأطلقت عليه لقب العفريت، وهذا يعني أنني وحيد في مواجهة هذا الخطر المجهول.

وقفت في منتصف المكان حائرا، قضمت قضمة أخيرة من كوز الذرة الثامن ثم ألقيت بقاياه على مدى ذراعي ليبتلعها الظلام، وعندما انتهيت من ابتلاع الحبات الشهية، قررت أن أسلك طريقا آخر في البحث، فصرخت بكل ما في أحبالي الصوتية من قوة:

- "نوارة ..أين أنت؟".

لا شيء إلا صدى صوتي..

"نوارة.. نوارررررة".

أصرخ بها حتى بح صوتي، ولا إجابة..

لا مناص من طرق الأبواب مهما كانت العواقب، فأي شيء سأخسره أكثر بعد أن فقدت نوارة؟، كما أن الظلام لا يمنحني رفاهية التردد، بالإضافة إلى أنني قمت بإزعاج يكفي لإيقاظ الموتى من قبورهم، وأعلنت عن وجودي بكل حماقة.. فلا مانع أن أكمل حماقتي لعل يكون لها جدوى.

لذا تجدونني أقف أمام المنزل الأول الذي قررت البدء به، أتأمل طريقة بنائه، وطلائه، وبابه ونوافذه، محاولا إقناع نفسي بأنني لست في قريتي، أو إحدى القرى القريبة منها..

صحيح أنه لا يوجد تطابق في التصميم أو طريقة البناء بين هنا وقريتي، ولكن النمط متشابه، بطريقة تثير التساؤلات والشكوك على كون مصدر البناء واحد.

كل شيء في المكان يبدو وكأنه من صنع البشر، وإن لم يظهر البشر أنفسهم في أي مكان.. كما أن هناك شيء خاطئ لم يحدده عقلي بعد، ولكنه مازال يحاول كشفه.

بوووم.. بوووم.. بوووم.

أطرق الباب، ثلاث طرقات على استحياء، فيدوي الصوت كقرع طبول مجوفة وسط صمت المكان، فيرتج رأسي من المفاجأة والصوت الشديد الارتفاع الذي ولابد قد وصل لكل أرجاء البلدة الصامتة.

الصوت الناجم عن الطرقات مبالغ فيه، ولا يتناسب مع قوة خبطات يدي على الباب الخشبي، الذي يختلف ملمسه عن أي خشب رأيته من قبل..

هو فقط يشبهه في الشكل لا في الخصائص، وهذا يحيلني إلى أن هناك نوع من الافتعال في كل الموجودات من حولي، كالفرق بين البضاعة المقلدة والأصلية، تشبهها تماما ولكنها تختلف عنها بشكل جذري.

بوووم..

طرقة وحيدة، أقل قوة، ينجم عنها نفس الصوت الهادر.

هل المكان مجوف من الداخل؟

الطرقة التالية لم يصدر عنها أي صوت.. فقط اهتز الباب، ثم انفتح على مصراعيه، لأرى خلفه ذلك الظلام المخيف الذي داهمني تحت القبة الملعونة، والذي فررت منه على أطراف البلدة..

الظلام الحي..

الظلام البارد السرمدي الذي لا نهاية له..

لقد سيطر الظلام بالفعل على كل البلدة..

إنني في موقف لا أحسد عليه، وأعتقد أنني لو رأيت العينين الشيطانيتين اللتين كانتا ترمقانني بكراهية أسفل القبة العازلة عندما انهار جسدي، وحاول الظلام السيطرة على وعيي، لربما أصبت بأزمة قلبية حادة، ومت في حينها.

والعجيب أن الصوت الرهيب الكريه، الذي كان يحثني على الاستسلام بدأ يتسلل إلى عقلي مجددا ليسيطر على كياني.

وهنا تذكرت آتوم الروبوت الشيطاني الحي، وهو يقول:

- "وجودكما في قبة الاحتواء، كان يمنع تلك القوة السوداء الرهيبة، من جذبكما إلى عالمها الرهيب".

....

- "ونحن غادرنا القبة.. يا إلهي.. أي نحس هذا؟!".

أرددها بيني وبين نفسي، وأنا أفكر، هل يكون هذا الصمت الذي يغزو الكوكب نتيجة استيطان تلك القوة السوداء له وإفنائها لسكانه؟

هل هذا الظلام المتماوج الذي يغزو البلدة، هو تلك القوة السوداء التي تثير فزع آتوم، أم أن وراءه قوة أعظم تحركه؟

هل سيكون مصيرنا كمصير سكانه، أم ...؟!

أين الجثث؟

ما مصير نوارة؟

أصرخ باسمها في لوعة وأنا أواجه الظلام المتحرك، فيرتج عقلي بصوتها المذعور، وهي تصرخ:

- "لا تجعل الظلام يبتلعك كما ابتلعني يا يزيد.. العالم هنا مخيف أكثر من ألف أفعى".

مجرد أن أيقنت أنه صوت نوارة، لم أستطع أن أتمالك نفسي، وفرت الدموع من عيني، وأنا أنظر بشدة للظلام المتماوج، والذي بدا لي، وكأن الصوت ينبعث من أعماقه، وصحت في لهفة:

- "إن كنت قريبة فأظهري نفسك يا نوارة.. إنني أموت قلقا عليك".

صرخة هادرة مصدرها نوارة تمزق أعصابي، وتهز كياني هزا، فينتقل الذعر إلى روحي، وأتراجع إلى الخلف متقهقرا عدة خطوات وعيناي على الظلام الحي، الذي يموج كبئر ساخن من القطران..

أصرخ مناديا نوارة..

لا إجابة.

أصرخ متسائلا:

- "ماذا أفعل يا نوارة.. ماذا أفعل؟".

لا إجابة..

تدوي في رأسي الفكرة..

الصوت كان ينبع من قلب الظلام الحي، كما أن نوارة لم تتواصل معي، إلا بعد أن واجهته..

أعرف أن نوارة حذرتني منه، ولكن لو كان تحذيرها جعلني أتردد للحظة، فصرختها التي شقت قلبي، قد حددت قراري وموقفي..

صحيح أن الظلام الحي يثير ذعري لأقصى مدى وهو يفور كبركان من النيران السوداء، إلا أنني لن أترك نوارة تواجهه وحدها، أو أتخلى عنها مهما كان الثمن أو التضحية..

وبأقدام من هلام، وقلب وجل، تقدمت نحو الظلام الكثيف، فانشق قلبه على هيئة ممر معتم لا نهاية له، وعندما هممت بالغوص خلاله ضج رأسي بصوت لم أميز صاحبه، ولكنه ألهب خلايا عقلي:

- "لا تفعل.. وانتظر الضوء".

لا أعرف كيف حددت اتجاه صاحب الصوت العقلي المؤلم الذي لم يكن بالطبع صوت نوارة، ولكني بتلقائية وجدتني أتلفت نحو اليسار، وقبل أن يستقر بصري على الاتجاه، لمحت شبحا داكنا يتوارى خلف أحد المباني الذي بدأ الظلام يحيط بها، فركضت خلفه بأقصى ما تستطيع قدماي من سرعة، وعندما وصلت للمكان وجدته خاليا، صامتا، لا أثر لمخلوق فيه.

إنها ليست هلاوس أو تخيلات.. لقد سمعت الصوت، ورأيت الظل الداكن يتوارى خلف المنزل بالفعل..

- "لا تفعل.. وانتظر الضوء".

الصوت المؤلم مجددا، يؤكد لي أنني لا أهلوس ولم أجن بعد، ولكني هذه المرة لم أحدد اتجاهه..

- "لا تفعل.. وانتظر الضوء".

أجيب الصوت بغضب هادر:

- "اللعنة عليك وعلى الضوء".

لم يرد علي الصوت فأخذت أتلفت حولي، وأبحث عن أي شيء يصلح كسلاح، وبالطبع لم أجد، فوقفت بعجزي أتأمل المكان في تحفز.

عقلي يتشتت من جديد.. هناك شيء خاطئ في كل ما أراه، وكأن عقلي يعمل بطريقة معكوسة، فيتجاهل الخطر المحيط بي، ويركز في أمور فرعية..

وكالتائه بقلب محيط، والذي لمح من على البعد ضوء الفنار، وجدت نفسي أردد كلمة واحدة..

معكوسة..

نعم كل شيء حولي معكوس..

اتجاه الشوارع.. القمر في السماء.. مفصلات الأبواب.. البنايات نفسها.. وربما لو كنا بالنهار.. لأشرقت الشمس من المغرب..

لقد أدركت سر المكان.. إنه كوكب معكوس..

وربما الكون الذي يحتويه كله معكوس..

لابد وأنها معلومة مهمة لأن عقلي أجهد نفسه في معرفتها.. وأنا فقط من لا يدري فائدتها حتى الآن..

صوت نوارة يؤكد استنتاجي:

- "كل شيء هنا غريب ومؤلم.. أشعر وكأني أرى كل ما حولي كانعكاس على سطح مرآة.. المكان يشبه عالمي إلى حد كبير.. ولكنه مخيف.. مخيف بشكل مروع.. إنني أشعر بوهن رهيب.. وأشعر أنها النهاية يا يزيد..".

صرخت بشدة:

- "نوارة.. أين أنت.. أجيبيني بالله عليك".

صمت عقلي مدلهم، تلا عبارة نوارة، جعلني أنوح كالثكالى:

- "لقد ذهبت نوارة.. ذهبت نوارة".

كنت أردد عبارتها الساذجة، ودموعي تهطل بلا توقف.. وشعوري بالعجز يتفاقم، وأنا أتساءل:

لماذا لم يأخذونني أنا مكانها، ويمزقونني إربا لو أرادوا؟

لماذا هي؟

لماذا؟!

ومن أعماق عقلي دوى الصوت اللاهب البغيض:

- "لو لم تنصت لي فستلقى نفس المصير".

أتلفت حولي دون جدوى..

إنني أعمى في هذا الظلام..

من صاحب هذا الصوت الكريه، ولماذا لم يختطفني كنوارة مباشرة، أم أنه مستمتع بلعبة القط والفأر هذه؟

ثم ما الذي رأته نوارة لتصف عالمها بالمخيف؟

وبكل ما بأعماقي من يأس صرخت باسمها:

- "نوارررررة".

وهنا دوى الصوت اللاهب في عقلي:

- "لقد ابتلعها الظلام.. ومن يذهب هناك لا يعود".

صرخت بصوت يموج بالقهر والعجز:

- "من أنت أيها اللعين.. كف عن ممارسة لعبة القط والفأر هذه.. ولو كنت رجلا أظهر لي نفسك.. وواجهني وجها لوجه".

وهنا وجدت الهواء من حولي يتموج ويتلألأ بشكل مبهر، ثم شعرت بقوة هائلة تطيح بي لأسقط أرضا، قبل أن يتجسد أمامي أبشع كائن حي يمكن أن تراه في حياتك.

عيناه الدمويتان المستعرتان بالغضب، أوصلا لي الرسالة كاملة..

أنت هالك..

تجمدت من الصدمة في مكاني، وشعرت بأن قلبي سيتوقف من الرعب، وأنا أتأمل في فزع ذلك العملاق الذي تحديته وأثرت حفيظته منذ لحظات، وقد تجسد أمامي غاضبا متحفزا..

إنها لحظة النهاية الحتمية..

هي فقط أتت مبكرا قبل أن أفهم سر هذا الكوكب الصامت، وقبل أن أعرف مصير سكانه، والأهم .. مصير نوارة.

لقد وضعت نفسي في موقف قاتل شديد التعقيد.

لا يمكن حتى في أسوأ كوابيسي، أن أتخيل نفسي، أقاتل هذا الكائن العملاق الذي يكاد ينفجر جسده من كثرة ما به من عضلات سوداء، والذي يتخطى طوله الثلاثة أمتار، والذي تنتهي ساقاه المشعرتان بحافرين أسودين، وتشتعل عيناه بضوء دموي مخيف، وله وجه غول كثيف الشعر، وقرن عظمي حاد أسود اللون في منتصف جبهته.

إنها النهاية التي لا تحتاج لمقدمات..

طال صمتي، بعد أن تبخرت الكلمات من عقلي، فعاد صوته اللاهب يدوي في رأسي:

- "إنك شخص عنيف بشكل كبير.. وهذا لا يحفز على مساعدتك.. ها أنا أمامك وجها لوجه فلنرى ما أنت فاعل؟".

لم أتحرك من مكاني قيد أنملة، ولم أنبس ببنت شفة، فعاد صوته ليصعق عقلي قائلا:

- "لتعرف قدرك أيها الكائن التعس.. لولا أني أشعر بمقدار معاناتك، لكنت الآن كومة مفرية من اللحم والعظام.. إنني أخاطر بالكثير لأحذرك.. عليك أن تقدر المعروف.. كما أن عليك أن تعرف، أن عشيرتنا مخلوقات مزدوجة الجنس.. كل منا يحمل بداخله صفات الجنسين، الذكور والإناث.. ولسنا وحيدي الجنس كنوعك كما استقيت من ذاكرتك، ولا نتفاخر بهويتنا الجنسية مثلكم، أنا هنا الخير لا الشر كما يوجهك تفكيرك الأحمق".

أعاد حديثه بث الحياة في دمائي التي تجمدت بداخل عروقي، وأعاد عقلي الذي توقف ليندهش! فإن كان هذا الغول الأسود وحيد القرن، هو الخير على هذا الكوكب الملعون.. فكيف يكون الشر إذن؟

ثم هل كل شيء في هذا الكون معكوس، والجميع يلعبون أدوار بعضهم البعض بهذا الشكل البغيض؟

هل سيحمل الشر على هذا الكوكب الصامت الكريه ملامح ملائكية، أم أن هذه الملامح الشنيعة للخير هي ذاتها الملامح الملائكية، والقادم أكثر قبحا وشناعة!!

بالطبع وصلت إليه أفكاري، وانطباعي عنه، فصعقني صوته الملتهب:

- "الخير والشر في الكينونة.. وأنت أيها المخلوق التعس.. كل كينونتك شر.. ليس عليك أن تخشاني.. أنا الذي لابد وأن أخشاك.. فأنت تبث حولك الشر، وكأنك نجم نزق غاضب.. وأرى أنك تستحق المصير الأسود الذي ينتظرك".

وهنا وجدت نفسي أفكر:

هل ما يحدث يحدث حقا؟

هل أنا بالفعل على سطح كوكب غريب، في كون مجهول، اختطفت حبيبتي على يد قوة سوداء شريرة، أطلقت عليها لقب العفريت قبل اختفائها، وأقف بقلب بلدة صامتة خالية من الأحياء، وأمامي غول بقرن أسود وحيد في منتصف جبهته، يحاورني بطريقة شبه متحضرة، ويحاول إخباري أن مصيري أسود ونهايتي حتمية؟

كل هذا برغم جنونه..

صحيح..

كل هذا أقابله بصمت رهيب..

جسدي يموج بطاقة رهيبة، وأشعر به يتشبع بكل السواد المحيط بي..

لن ينتج عن هذا التحول خير أبدًا..

لم أعد متفائلا..

دارت كل هذه الأفكار في عقلي، وقرأها الغول وحيد القرن، الذي وقف يرمقني في صمت قبل أن يقول بغلظة:

- "أنا لست الغول وحيد القرن أيها التعس.. أنا (شاريك) من عشيرة (الشاك) نحن أسياد الظلام وأبناء الضوء.. أنا لا أرغب في إيذائك.. ولكني قد أفعل.. أنت تحمل بداخلك ظلاما عظيما..

الموت يفوح منك وكأنك مقبرة عمرها ألف دهر.. أتيت لتزيد نحس الكوكب.. وتزيد معاناتي.. إن نهايتك لن تكون بيضاء أبدًا".

لم أعرف بما أجيبه، فتجاهلت ما يحدث بداخل جسدي، وتطفله على عقلي، وقلت:

- "أنا لا أحمل لك أو لأي مخلوق أي شر، أنا فقط أبحث عن نوارة التي اختطفها العفريت".

أجاب بسرعة:

- "حتى وإن كنت لا تقصد أن تحمل الشر لأي مخلوق، ولكنه بأعماقك.. أنت كارثة على وشك الحدوث، إنك تحمل العلامة التي يرغب بها (الأرضي) ساكن العالم السفلي.. العفريت كما تطلق عليه".

قلت بسرعة:

- "هل يمكن أن تساعدني في القضاء عليه، وتساعدني في أن أستعيد نوارة من قبضته الغاشمة؟"

ظهر الحزن والإحباط على وجهه المخيف، ولوح بقرنه الأسود وهو يقول:

- "هل تعرف أي حضارة كانت تصول وتجول في العالم العلوي لكوكبنا.. هل تدري لأي مدى وصلت عشيرتنا من تقدم وتطور وقوة؟

هل تدري كم تبقى منهم؟".

منحته نظرة متسائلة، فاستطرد:

- "لم يتبقى من مُلك (الشاك) وجيوشه، وحضارته إلا أنا".

رددت في ذهول:

- "أنت فقط.. ماذا حدث للآخرين؟".

صعقني الرد برغم أني توقعته:

- "فتك بهم الأرضي (العفريت)".

وهنا كان فضولي وخوفي قد بلغ مبلغه فسألته:

- "منذ متى وأنت هنا وحدك؟".

شعرت به ينتهك ذاكرتي قبل أن يقول:

- "سبعمائة وثلاثة وأربعين عاما بتوقيتكم".

الذهول من جديد:

- "هل أنت وحيد وسط هذا الظلام كل هذا الوقت، ولماذا تركك العفريت حيا حتى هذه اللحظة؟".

هز قرنه الوحيد وقال في آسى:

- "ربما لا يعلم أن هناك من تبقى من نسلي حيا، أو هو يتركني عامدا متعمدا.. لا أعلم.. ربما هو يتسلى بعذابي.. لقد مرت عشر دورات تكاثر دون أن أنقسم..

لأنني عاجز على الوصول للنصف المداري من الكوكب، والذي يواجه الشمس الزرقاء، التي تحفزنا على الإنجاب.. إنه يبسط سلطانه على كل شيء، لقد فشلت كل محاولاتي للوصول إلى المدار.. إنه عقاب قاس تقبلته بأريحية.. لأنه قد يكون جزءا من قدري لألقاك فأحذرك".

أدرت المعلومات في رأسي ثم قلت:

- "وما جدوى التحذير أيها البائس؟".

أجاب بسرعة:

- "على الأقل لن يبقى أي منا وحيدا".

صحت بسرعة:

- "ولكني لن أترك نوارة وحدها في قبضته".

أجاب بغضب:

- "ولكنك لا تملك لها شيئا".

رمقته لفترة طويلة، ثم قمت بأكثر الأشياء حماقة في الكون، وأنا أقول بعناد وغلظة:

- "سأحاول على الأقل".

لابد وأن عينا ذلك الغول وحيد القرن قد اتسعتا من الدهشة، وهو يراني أستدير، وأركض نحو البيت الذي رأيت بأعماقه الظلام الحي، وألقي بنفسي داخله، وأنا أصرخ في جنون:

- "إنني قادم من أجلك يا نوارة".

وقبل أن يبتلعني الظلام الحي، شعرت بالصوت اللاهب في عقلي يقول:

- "أنت أحمق أيها المخلوق التعس.. إنك لن تواجه الأرضي فقط، بل ستواجه

أعتم مخاوفك.. أتمنى لك أن تموت سريعا.. وألا تكون دورة عمرك أطول من اللازم.. فبرغم حماقتك وغرورك أنت أقل بكثير مما ستواجه.. ولكنه قرارك".

لم أبال بما قال، فكل ما كان يشغل تفكيري هو نوارة..

وبينما الظلام الحي يبتلعني، وصوت الغول وحيد القرن يتلاشى من عقلي.. دوت في عقلي تلك الضحكة الماجنة الصاخبة..

ضحكة الشيطان الأرضي.

ضحكة العفريت.

ثم ابتلعني الظلام.

الدخان يتصاعد مني،
وأمد يدي المقطوعة؛
لأمسك بأعضائي المبعثرة من جسوم عديدة..
فلا أجدها..

أبعد من التماهي: للشاعر محمود درويش.

لا تدخل البلدة

- 1 -

بقلب الظلام الذي كان يفور، ويمور، شعرت بأعتى مشاعر الانتهاك، والاعتداء التي من الممكن أن يتعرض لها كائن حي في الوجود.

عشرات الأيدي كانت تتحسس عقلي من الداخل بنهم، وشهوة، وهمجية كأيدي مجموعة من أحقر المتحرشين وقعوا على ضحية عاجزة، فقرروا الفتك بها - لا أجد توصيفا آخر للأسف فهو يعبر عما عانيت دون زيادة أو نقصان - كما تخلل هذه العملية المهينة، أصوات أنين لا تنقطع.

الشعور قاتل، ومؤلم، وهم يعتصرون خلايا عقلي بكل قسوة..

عشرات..

مئات..

بل آلاف..

لن أبالغ لو قلت ملايين الأيدي النهمة تدنس عقلي، مع مشاعر أعتى وأكثر اشمئزازا مما يحدث لتدنيس الجسد..

كل ذكرى عاصرتها في حياتي السابقة تمر أمام عيني..

كل ألم ووجع نفسي يتكرر وأعيشه من جديد.

كل جثة، وكل مسخ، وكل شيطان واجهته، وكل فعل سيئ قمت به يتجسد أمامي..

روحي تكاد تزهق من هول ما أرى وأعاصر..

إنه الموت دون شك..

أشعر أن نهايتي باتت قاب قوسين أو أدنى..

لذا رددت الشهادتين، وبعقلي اليائس أخذت أبث رسالة النهاية لنوارة، لعلها تصل إليها تخاطريا، فتعرف أنني لم أستسلم من أجلها، حتى النهاية:

- "وداعا يا نوارتي، وداعا يا حبيبتي..

كم كنت أتمنى أن أكون فارسك، وأن أتلقى الطعنة الغادرة قبل أن تنال منك.. ولكنني فشلت كالمعتاد.. بل وسأموت غريبا عن عالمي.. وربما عن كوني كله.

سأموت ولن يكون هناك من يدفنني أو يدعو لي أو يقيم الصلاة على روحي..

صلي على روحي يا نوارة لو نجوتي وبقيتي على قيد الحياة.

كنت أتمنى أن أنجب منك طفلا رقيقا له نفس عينيك الزرعية الساحرة، لا يهم جنسه سواء أكان ذكرا أم أنثى.. ولا لونه..

المهم أن يكون جميلا مثلك..

ثمرة لحبنا الذي لم يكتمل..

موحد العالمين كـ مينا الذي وحد القطرين - أعرف أنها مزحة سخيفة - ولكن أتمنى أن تجعلك تبتسمين، فأنت تعشقين تاريخ قدماء المصريين.

كنت أتمنى أن أستيقظ ذات صباح بين ذراعيك، وأبدأ يومي على ابتسامتك وصوتك الرقيق.

إنني ذاهب يا نوارة..

الموت قريب، وأشعر به حولي، بل أنا مفعم به كما أخبرني الغول الأسود وحيد القرن..

لا تعرفين الغول وحيد القرن!!

سامحيني إنها أول مغامرة أخوضها في حياتي من دونك، ولم تكن جيدة لأتمنى منك خوضها معي.

سأذهب دون وداع، ودون أن أدري مصيرك..

وهو الجحيم بعينه.

وداعا يا نواراتي.. وداعا يا حبيبتي".

أنهيتها ثم تركت نفسي لتلك الأيادي الهمجية لتنهش في عقلي وجسدي، وأنا أشعر أن الظلام يزداد عتمة.. والبرد يزداد قسوة.. وكل خلية في جسدي تئن من قسوة الانتهاك..

انتظرت الموت طويلا دون جدوى، حتى صار كياني كجمرة ملتهبة..

وعندما ضاق تنفسي، وبدأ الظلام والسواد يتخللاني؛ حتى بت أشعر بأنني جزء منه.. جزء يفوح بالكراهية والعتمة، وكل المشاعر السلبية في الكون. أدركت أنني ذاهب الآن..

وعندما صار الألم لا يحتمل، وأيقنت بدنو النهاية، صرخت بكل عزمي:

- "أحبك يا نوارة.. أحبك".

ثم سطع الضياء، وشعرت بألف صاعقة كهربية تضرب روحي، ووجدت جسدي ينتفض كأنما لسعه ألف عقرب، ثم خفت الضياء، لأجد فوق رأسي سماء دموية بلا سحب، فصرخت من الغيظ:

- "يا إلهي هل عدت إلى القبة العازلة مرة أخرى، ماذا يحدث لي؟".

صوت نوارة المتألم:

- "لماذا يا يزيد، لم لم تنصت لي؟.. لماذا استسلمت للظلام يا يزيد.. لا تدخل البلدة يا يزيد.. لا تدخل البلدة"..

أجبت بيأس:

- "تحذيرك جاء متأخرا جدا يا نوارة، لقد دخلت البلدة بالفعل، ولم أجد بها إلا غول وحيد".

صوت نوارة المتلاشي:

- "أنت لم تدخل البلدة بعد يا يزيد.. لا تدخلها .. لا .. يا .. يز..لا".

الضياء الباهر من جديد يعمي بصري، قبل أن يتلاشى وتقل حدته، لأجد نفسي واقفا أمام بوابة البلدة المعدنية العملاقة المفتوحة على مصرعيها، أرمق الداخلين والخارجين منها بذهول وعدم تصديق.

البلدة على عكس ما سبق، كانت تموج بالحياة والبشر..

كما كان هناك حرس نظامي بزي موحد، أعجز عن تحديد الزمن الذي يمثلونه، ولكنهم جميعا بهيئة طبيعية لا غبار عليها، يجلسون بأريحية حول طاولة حجرية، يتبادلون السباب والمزاح والتدخين، دون أن يبالوا بمن يدخل أو يخرج، وكأنهم لا يتوقعون أي شر أو تهديد.

- "لا تدخل البلدة يا يزيد".

التحذير يدوي في رأسي دون أن أذكر مصدره، برغم أن الصوت مميز..

- "لا تدخل البلدة يا يزيد".

أتقدم لأعبر البوابة دون أن يستوقفني الحرس، أو يبالي بي أي من البشر المتحلقين من حولي، فأقول بصوت غاضب:

- "كفاك أيها الصوت اللعين.. لقد دخلت البلدة بالفعل، لا جدوى من تحذيرك".

الصوت بغضب:

- "أنا نوارة يا يزيد.. ماذا دهاك؟".

أجيب بسخط:

- "لتكوني نوارة أو أي مصيبة أخرى.. ابتعدي عن رأسي".

عاد الصوت يلح:

- "أنا نوارة يا يزيد .. حبيبتك.. فتاتك الزرقاء".

صرخة عقلية هائلة:

- "أخرجي من رأسي أيتها المجنونة.. لا أريد زرقاء ولا حمراء.. أريد طعاما".

وهنا اختفى الصوت اللحوح تماما من رأسي، وعاد الهدوء لعقلي والسكينة لروحي، فأكملت مسيرتي.

بالطبع تدركون أنني بمجرد دخولي المدينة، أصبت بفقدان ذاكرة مؤقت ونسيت نوارة، وعادت معدتي لتزأر وتتقلص..

لذا ترونني الآن أقطع الشوارع المزدحمة التي تغص بالبشر.. مندهش من كل شيء وأي شيء، تثير حفيظتي الأزياء المتباينة، وكأنها تنتمي لعدة عصور زمنية مختلفة.

عصر إنسان الكهف، عصر المماليك والعثمانيين، وربما أزمنة تسبقهم، كما توجد أزياء حديثة تنتمي للستينيات والسبعينيات، وبداية الألفية..

لا أعتقد أنه مهرجان ما؛ لأن الناس هنا يمارسون حياتهم الطبيعية بهذه الأزياء دون مواربة..

معدتي تتقلص مجددا.. أتلفت حولي في حيرة.. لابد وأن في هذه المدينة شيء يؤكل..

المارة حولي في كل مكان، وجميعهم مفعمون بالصحة، وبعضهم وجوههم حمراء تتدفق بها الدماء والحيوية، يأتون ويذهبون، وكأنهم بصدد فعل شيء هام.

لم أهتم لمسعاهم .. بل اهتممت فقط بوجودهم.. فطالما هناك بشر فهناك طعام..

أدرك جيدا أنني سأعثر على بعضه في مكان ما..

مشكلتي الوحيدة هي كوني مفلس، ولكنها مشكلة سأواجهها في حينها، لأجد الطعام أولا، وبعدها لأبحث عن طريقة للحصول عليه.

أقطع الطريق نحو الميدان الكبير، محلات كثيرة متوسطة الحجم في أسفل البنايات، تشبه كثيرا الموجودة بطنطا بالقرب من ميدان الساعة، والتي يطلق عليها (البواكي).

هناك ملصق ورقي يتكرر على الجدران، يترك صدى سيئ في روحي..

والملصق عبارة عن صورة قليلة الدقة لوحش عملاق هائل الحجم لديه عضلات بارزة، وأعين حمراء مشتعلة، وله وجه كثيف الشعر، وقرن عظمي أسود حاد في منتصف جبهته، ومكتوب أعلاه كلمة(مطلوب).

وأسفله (بأمر من الأرضي العظيم).

رؤية الملصق تقرع في ذاكرتي أجراسا عدة، ولكنني لم أمسك بطرف الحقيقة بعد، فتجاهلت الأمر وقررت أن أبحث عن الطعام..

جوع بدائي وحشي ينتهك معدتي، وكأنني جائع منذ بدء الخليقة..

في المنعطف التالي، وجدت محل جزارة وحيوانات أليفة في نفس الوقت، أمامه فرن الغاز الشهير الذي يميز مثل تلك المحلات الفقيرة الإمكانيات، وبجواره أقفاص تحتوي على قطط، وفئران، وكلب وحيد، وبعض الثعابين والسحالي، وضب قبيح الشكل.

لا دجاج، أو أوز، أو بط، أو أرانب أو حيوان مما اعتدت تناوله!

على سطح فرن الغاز الساخن، كان هناك صاج معدني موضوع فوقه بعض أرغفة من الحواوشي الذي يغطيه الذباب، وبعض الأقراص الصغيرة التي لا أدري محتواها، ربما هو هامبورجر يدوي الصنع.

تركيبة المحل عجيبة ومنظر المكان المحاط بالذباب يثير معدتي، ولكن إن لم يوجد غيره متاحا، فلن أتوانى عن أكله..

أتأمل اللحم المعلق بداخل المحل..

لحم مريب بحق..

أحجام الكائنات التي يحصل على اللحم منها غريبة أيضا..

هل هو جزار فقط؟!!!

وهل ما يوجد في الأقفاص هو مصدر اللحم؟

ألن يخفي ذلك البائع شديد الوقاحة، أنه يطعم رواد المكان الفئران والسحالي والكلاب والقطط وغيرها؟

ألا توجد صحة، ولا بلدية، ولا شرطة في هذه البلدة العجيبة...

- "لا تستسلم يا يزيد.. قاتل.. لا تجعله يستحوذ عليك".

أردد في ضيق متجاهلا الصوت ثقيل الدم:

- "إنها هلاووس الجوع.. لابد من أن أتناول الطعام الآن، حتى ولو كان هامبورجر فئران، أو حوواشي كلاب وقطط.. أو سوسيس أفاعي".

الصوت المزعج:

- "لا تستسلم لرغباتك يا يزيد.. لا تستسلم لها ..".

قدماي تتحركان بعيدا عن محل الجزارة، الذي كان صاحبه يعلق في أحد الخطاطيف المعدنية الحادة ثعبانا عاصرا كبير الحجم، بعد أن قبض على رأسه،

وثناها إلى الخلف ، وفتح جزءا صغيرا من الجلد، ثم أخذ يسحب الجلد إلى أسفل في سرعة ومهارة والثعبان يتلوى، ليسلخه في لحظات.

أعرف بالطبع من قراءاتي أن الثعابين يتم سلخها حية، ليكون الأمر أسهل وأيسر في تنظيفها ثم طهيها.

المشهد مبهر، ولكن أن تتخيله وجبتك التالية هو شيء آخر..

نفس الملصق للمخلوق وحيد القرن المريب...

أفكر.. ربما هو مجرم ويرتدي قناعا مخيف..

هل سطا على بنك المدينة، أم هو معارض وثائر ضد نظامها الذي لا أعرف عنه أي شيء.

لا شيء ولا أحد يجيب على تساؤلاتي، فأكمل جولتي..

أمر بسيرك عجيب جدا، يحتل مساحة فناء مدرسة، فيه البشر يقومون بكل مهام الحيوانات، ويشرف على عروضهم الغريبة، مجموعة من المقنعين بزي موحد رمادي اللون خالي من الذوق، المقنعون يتعاملون مع متقمصي دور الحيوانات بكل قسوة وعنف.

المثير للدهشة هو أن هؤلاء البشر مستسلمون ومذعنون بشكل كامل للطغاة المقنعون الذين يسومونهم سوء العذاب.

أما الأعجب فكان المتفرجون الذين كانوا يهتفون كلما تلقى أحد الضعفاء صفعة أو ركلة أو ضربة سوط أو وكزة من صولجان معدني له طرف حاد يحمله الطغاة.

لم أجد متعة في مشاهدة هذا السيرك البشري السادي..

ولم أفهم كيف يقبل الجميع أدوارهم فيه، كما أنه يثبت أنه لا أحد أكثر قسوة على البشر من البشر.

عند المنعطف التالي رأيت لوحته الأنيقة المضيئة..

(مطعم الغرباء).

اسم غير تجاري تماما، ولكنه أنظف من محل الجزارة، وعلى الأقل لن تعرف مصدر الطعام أو اللحم الذي ستتناوله؛ لأنهم سيقدمون لك المنتج النهائي في شكل مبهر.

الجهل نعمة كبيرة في هذه اللحظات الفارقة..

- "قاوم يا يزيد.. قاوم.. لا تتورط أكثر".

أدفع الباب الزجاجي السميك، فيستجيب لي بسهولة، ويهب في وجهي تيار من الهواء البارد..

أعبر إلى داخل المطعم شديد النظافة والأناقة، وأنا أتأمل كل ركن فيه، شاعرا بعدم راحة..

معظم الطاولات مشغولة وعليها مجموعات من البشر غير متناغمة الأزياء، يتناولون حساء ما، تتصاعد رائحته الشهية في أجواء المطعم..

وهم أغرب مجموعة من زائري المطاعم يمكن أن تراهم في حياتك - وكأنهم جميعا خاضوا حربا ضروسا - فبعضهم فقد طرفا أو طرفين، وهناك من فقد إحدى عينيه، وآخر حلق نصف شعره..

وأغربهم شخص بدين لا أطراف له، يضع رأسه الضخم بقلب دلو حساء كبير، ويتناول طعامه كالكلاب..

المشهد مريب ولا يشجع على تناول الطعام أبدا، ولكنها معدتي اللعينة، ورأسي التي تكاد تنفجر من الصداع..

لنفترض أنه مطعم يخص مصابي الحروب وأسرهم، وأتمنى لو أضافوا عابري السبيل.

لابد لي من الحصول على الطعام بشكل سريع، فقد تحول الجوع لغثيان وصداع وهاجس مضني، وأعتقد أنه بعد قليل لن أتعفف عن تناول النزلاء أنفسهم.

(الدفع مقدما)

العبارة صدمتني، وجعلتني أقلب في جيب سروالي الممزق في يأس، فلا أجد سوى الخواء..

إنني لوحة شديدة الدقة تعبر عن الإفلاس..

وحتى لو كنت أمتلك عملات من عالمي، فما يدريني أنها ستقبل هنا، أو ستكون ذات قيمة من الأساس!!

أقف حائرا، ومعدتي تنبح من فرط الرائحة الشهية..

(الدفع مقدما)

أهز رأسي في يأس وأنا أفكر أنني لن أستطيع الدفع مقدما ولا مؤخرا، بل لن أستطيع الدفع من الأساس.

رائحة الحساء تشجعني على القيام بعملية سطو مسلح، لا أمتلك أي من مؤهلاتها.

ولا أعرف إلى متى سأستطيع تحمل الجوع، قبل أن أهاجم أحد المارة وألتهمه حيا؟

أتأمل أمامي أسرة صغيرة مكونة من ثلاثة أفراد..

فأرى أبا وأما شابان يدفعان طفلهما الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره إلى النادل المبتسم بسماجة..

يسحب النادل الطفل المذعور بطريقة تفتقر إلى الذوق والكياسة، إلى غرفة

جانبية تقع في ركن قصي من المطعم، وأنا أفكر أنه ربما يوجد هناك ركن مخصص للألعاب..

تمر ثوان قبل أن أسمع صوت صراخ هستيري من الطفل، ثم صوت آلة حادة وهي تهوي لتقطع شيء ما..

أتجمد في مكاني، وأنا أرى البسمة على وجه الأب والأم..

أتلفت حولي بحثا عن الشيء الذي يستدعي ابتسامهم، وصغيرهم يبكي ويصرخ بمثل هذه الطريقة التي تمزق نياط القلوب.

هل يوفر المطعم هنا نوعا من بيوت الرعب؟

لعمري ستكون السابقة الأولى في حياتي التي أشهد بها شيء مماثل، فكيف يجتمع الشرق والغرب معا؟

مطعم وبيت رعب!

على كلٍ.. الأبوان سعيدان، هادئان، هانئان، ولا يشغل بالهما شيء، فلماذا أهتم؟

أتجاهلهما وأتفحص المكان مجددا..

المطعم أنيق وبارد ولا يوحي بالحميمية، أو أنهم يقدمون الطعام مجانا لأي سبب.

أردد بيني وبين نفسي:

- "اللعنة.. لن أستطع الحصول على طعام في هذا المكان المريب".

لذا قررت الخروج والبحث عن طعام في مكان آخر، لا يحتاج لنقود، وأنا أفكر أنه ربما لو عدت للجزار فقد يشفق على حالي ويمنحني قرصا من هامبورجر الفئران مجانا..

أو مقابل بعض العمل..

هو لن يخسر كثيرا.. والمكان ليس بأناقة المطعم.. ولابد أن أسعاره أقل قسوة، وربما أعده بأن أحصل له على أحدها حيا..

- "أراك حائرا، ومترددا يا سيدي.. هل أستطيع خدمتك؟".

أجفل من الصوت وأستدير لأواجه النادل لأقول بشكل مباشر:

- "إنني جائع.. ولا أملك نقودا.. والدفع عندكم مقدما".

يبتسم ابتسامة صفراء، قبل أن يقول:

- "أنت غريب.. لذا فإنك قد أتيت للمكان المناسب.. إنه مطعم الغرباء أي أنك من أهم زبائننا.. ولكن هذا لا يعني أنك لن تدفع.. إنه قانون لا نحيد عنه أبدا".

أجيبه في حنق:

- "هل أنت أصم؟.. أخبرتك أنني لا أملك أي نقود".

ابتسامة أكثر اصفرارا:

- "ولكننا لا نتعامل هنا بالنقود.. نصف لتر من دمائك سيكون كافيا لتحظى بوجبة جيدة.. وأما لو أردت وجبة مميزة.. قد نحتاج لقطع أحد أصابعك.. ربما الخنصر فلن تحتاجه كثيرا".

أنظر نحوه بعينين جاحظتين مندهشتين:

- "أهو مطعم أم مجزر آدمي؟".

تتسع ابتسامته المقيتة، وهو يقول:

- "يتوفر لدينا كل أنواع اللحم.. حتى اللحم الآدمي.. ولو كنت نباتيا فقد أتيت إلى المكان الخطأ".

وهنا أرى الطفل الصارخ يخرج من الغرفة الجانبية، بكف مبتور مضمد بشكل بدائي، ويتجه نحو والديه اللذين انهمكا في تناول الحساء بنهم وسرعة، وكأنها آخر وجبة لهما في هذه الحياة..

وعندما جلس الطفل المصاب على المقعد المجاور لهما، نظر كل منهما إليه شذرا ثم إلى إناء الحساء الذي أمامه..

ثم وضع له كل منهما بعض الحساء في إنائه الفارغ الأصغر حجما، وأعينهم ترمقه في ضيق، وكأنما لم يرغبا أن يشاركهما الطعام.

ولم يلتفت أي منهما لكفه المبتورة.. هل تصدقون هذا؟

ماذا يحدث في هذا المطعم المريب حقا؟

أتأمل رواد المكان، ثم أدير المشهد في رأسي، فتصدمني الفكرة..

إنهم يبيعون أنفسهم جزءا جزءا، ليرضوا شهوة الجوع، ولكن من يهون عليه أن يقتطع جزءا من جسده أو جسد طفله ليستبدله بحساء ساخن شهي مهما كانت درجة جوعه؟

وأجيب على نفسي بسرعة، وأنا أمد يدي للنادل، بعد أن قرصني الجوع:

- "أنا".

يقول النادل:

- "معذرة يا سيدي.. هل توصلت لقرار؟".

أقول في غضب، وقد بدأت أشعر أن معدتي بدأت بهضم أحشائي الداخلية من فرط جوعها:

- "هل أنت أعمى أيضا.. خذ ما تشاء من دمائي، ولكن أمنحني الحساء الساخن.. الكثير منه".

الصوت الملتاع:

- "لا يا يزيد.. لا تطعه.. قاوم.. لا تمنحه دماءك".

أزوم في غضب وأقول:

- "أقسم أيتها البومة الزرقاء لو كنت أمامي لالتهمتك حية".

حدة الصوت تخفت في عقلي ولكني أسمعها تقول:

- "قاوم يا يزيد.. قاوم".

يقطع هذا الصراع، قدوم النادل الذي أحضر طاولة معدنية لامعة متوسطة الحجم، تراص فوقها محقن معدني بجواره كأس زجاجي، وكيس استنزاف الدم الشفاف الشهير بإبرته السميكة، وسكين حاد بجواره صحفة معدنية لامعة.

وضع الطاولة أمامي ثم ابتسم:

- "أي طريقة تحب أن نحصد بها دماءك؟".

وترتني كلمة (نحصد) ولكني رحت أتأمل الطاولة المستطيلة، ومحتوياتها الكئيبة..

لن أختار السكين بالطبع، فلن أسمح له أن يجرح أو يمزق جزءا من جسدي ليحصل على طلبه..

- "ولكن دماءك جزء من جسدك".

أتجاهل الصوت الذي أصبح يثير جنوني، وعيني على المحقن..

لا لن يضع تلك الإبرة الحادة في جسدي عدة مرات ليحصل على الكمية المطلوبة..

هو كيس استنزاف الدم إياه..

شكة واحدة عند البداية وأخرى عند النهاية..

الأمر بسيط بهذه الطريقة..

ليست لدي فوبيا الحقن بالطبع.. ولكني أخشاها إلى حد كبير..

هي ذكريات متراكمة لا أكثر.

سيكفي أن أشيح ببصري لينهي مهمته الدموية القذرة..

هذا هو الاختيار الصحيح.

أشرت له على كيس الدم، فابتسم كمرابي يهودي أصيل، وهو يقول:

- "اختيار موفق يا سيدي".

ثم أشار لتلك الغرفة الجانبية المشؤومة التي فقد فيها الطفل كفه، فتبعته وقلبي يدق في عنف..

قطعت المسافة التي تفصلني عن بابها بخطوات سريعة، ثم دفعت الباب ووقفت أتأمل الغرفة في صدمة!

هل مكب النفايات هذا غرفة ملحقة بالمطعم بالفعل؟

أقذر غرفة يمكن أن تراها في حياتك، كل شيء فيها عكس ما هو موجود في المطعم النظيف البراق..

الأعماق كالعادة أشد قذارة..

أغمضت عيني كي لا تؤذيها رؤية الدماء، والقاذورات التي تلطخ الجدران، هذا غير الرائحة العفنة القاتلة.. ثم هممت بالعودة من حيث أتيت، عندما دوى في أذني صوت النادل السمج:

- "أعرف أن المكان غير مريح إلى حد ما يا سيدي، ولكن هنا يدفع ثمن الأشياء البراقة النظيفة، وجبتك ستكون جاهزة فور انتهائك".

المكان قذر بحق، وكأنه ضمير منافق أو مدعي..

ولكن معدتي تتلوى من الجوع.

المطعم والغرفة يذكراني بكينونة الجنس البشري الخادعة، من الخارج لامعة براقة، ومن الداخل عطن وعفن وقذارة..

لا وقت للتفكير أكثر.

دمائي تنساب ببطء..

والوقت يمضي ببطء أكبر..

والبرد يتسلل إلى عظامي، فيتسلل خدر محبب إلى كياني، فأنعس ولا أشعر إلا بيد النادل الثقيلة تهزني في قوة، لتوقظني، وهو يقول:

- "سامحني يا سيدي على جرأتي.. لقد حصلت على بعض أظفارك أثناء نومك.. لقد طلبت الطعام فقط.. ولم تحدثني عن الغفوة.. إن وجبتك جاهزة".

نظرت نحوه في ذهول، ثم رفعت أصابعي لوجهي غير مصدق ما يقول، خوفا من أن أكون قد فقدت مع أظافري أحد أصابعي أو أكثر، وعندما اطمأننت أن العشرة أصابع بخير، هدأ روعي..

وعندما أدرت الأمر في رأسي، وجدتها صفقة عادلة.. كنت بحاجة بالفعل لتقليم أظافري.. إنه ثمن بخس لن يضرني كثيرا..

أعرف أن كل مصيبة تبدأ بتنازل صغير، ولكنها مجرد أظفار قذرة..

لقد تم الأمر، سواء رغبت فيه أم لا.

خرجت من الغرفة المشؤومة شاحبة الإضاءة، إلى المطعم الأنيق جيد الإضاءة، ثم جلست على مقعدي ورائحة الطعام الشهي تضرب رأسي بعنف، ومعدتي تتلوى من الجوع عندما..

- "أريد هذه المرة الكثير من لحم الغنم.. الكثير جدا.. فمديري في العمل

قادم.. لن أستطع الدفع لأنني المضيف وأحتاج لكامل تركيزي.. ولكن زوجتي ستفعل".

- "تحت أمرك يا سيدي.. ولكن من أي جزء ستدفع زوجتك.. هذا يتوقف عليه جودة الطعام؟".

- "من أي مكان يروق لكم.. أعتقد أن أماكنها الخفية ستكون صالحة للأمر، لا أريد أن أشوه مظهرها الخارجي".

- "تحت أمرك يا سيدي".

- "لا تنس.. خذ ما تريد منها.. فقط أريد الكثير والكثير من لحم الغنم".

تلتقط أذني هذا الحوار الجهنمي شديد الوضاعة، بين أحد رواد المطعم، والنادل السمج..

إن هذا الرجل يبيع لحم زوجته حرفيا من أجل إرضاء مديره في العمل..

وفجأة وجدت النادل أمامي يبتسم نفس الابتسامة السمجة، وهو يضع على طاولتي إناء الحساء، ويقول وكأنه يقرأ ما في عقلي:

- "لكل شخص أولويات.. ولحم زوجته كان ثمنا عادلا لما سيحصل عليه من مديره في العمل.. اعذرني لتطفلي على أفكارك.. وإذا أردت أي شيء نادني على الفور سأكون بالقرب منك.. فأنت أصبحت زبون المحل".

عذرته بالطبع على تطفله على أفكاري، ثم بدأت في تناول الحساء الساخن الذي يتصاعد منه البخار..

الحساء شهي ولذيذ ويستحق..

إنه ثمن بخس بالفعل..

وساعتها أدركت أن الاعتياد يبدل سوء الأشياء، ويجعل تقبلها أمرا لا يثير أي نفور أو مجافاة..

وربما لو بقيت في هذه البلدة الملعونة وقتا أطول، لبدأت في بيع أعضائي وأطرافي، وربما حياتي ذاتها.

إن هذا الرجل مجدود الحظ ليجد من يضحى به ويفتدي نفسه، حتى ولو كانت زوجته.

والآن علي ألا أفكر في غيري، وألتفت لنفسي، إنني لم أكن أفضل حالا من الآن..

الحساء لذيذ، وجسمي قد حظي بالكثير من الراحة بعد الغفوة، و..

- "إنك تغرق في الوحل يا يزيد.. غادر المكان على الفور .. لو تورطت أكثر فلن تستطع الخروج".

أبتسم في لامبالاة، وأنا أنظر للحساء الساخن، الذي تتسرب رائحته العذبة إلى روحي، وأقول:

- "كم أحتاج لألف ورطة من هذا الحساء".

أجهز على إناء الحساء الذي يكفي أسرة بالكامل، ثم أشير للنادل فيحضر على الفور، فأسأله عن ثمن زجاجة ماء..

إنني لم أشرب منذ دهر.. الجوع كان يقهر نداء العطش، ولكنه استعر الآن بعد أن تناولت الحساء الشهي، فيجيب النادل:

- "الماء يساوي هنا الكثير.. ولكنك ستحصل عليه مجانا لو قضيت الليلة مع تلك الحسناء، وربما حظيت بوجبة إضافية أيضًا".

ألتفت إلى حيث يشير فأرى على عتبة المطعم وخارج الباب الزجاجي، فينوس السوداء، قطعة من الشوكولاتة الداكنة، بستان من حبوب البن اللامعة..

أجمل امرأة سمراء البشرة رأيتها في حياتي..

شيء بأعماقي يخبرني أنها ليست هذه المرة الأولى التي أواجه فيها هذا الجمال الطاغي.. وأستسلم له..

- "سأقتلك لو ذهبت معها.. سأقتلك يا يزيد".

يعبث شيطاني في عقلي، فأقول بصوت يفوح بالمجون:

- "أتمنى لك مشاهدة ممتعة".

ثم أصرخ في النادل:

- "في عالمي يدفعون لمثلها حبات عيونهم، هلم بالماء كي لا أتأخر عن ساحرة الجنوب هذه".

النادل يهرول إلى داخل المكان، ثم يعود بسرعة وهو يحمل زجاجة ماء باردة متوسطة الحجم ويقول:

- "الماء البارد أيها الغريب.. ولا تكن مثل الماء.. فالسيدة الحارة لا يرضيها إلا الرجل الحار".

ثم استطرد وهو يغمز لي:

- "ليلة حارة سعيدة.. ولا تنس أن تمر علينا.. فنحن وطعامنا في خدمتك.. لدينا هنا وجبات ترمم العظام، وتفعل بك الأفاعيل".

أتجاهل تلميحاته القذرة، وأنا أجرع زجاجة الماء على مرة واحدة، ثم أهرول لأخرج من المطعم، لأواجه تلك الجوهرة السمراء، التي كادت تخرج عيني من شدة جمالها..

- "لم أكن أعلم أنك تهيم بالسمراوات أيها الوغد.. لو طالتك يدي لمزقتك إربا".

أحاول أن أطرد الصوت الذي يموج بالغيرة من عقلي، فأتمادى مع تلك الفاتنة، وأقترب منها وأقبل يدها، وأنا أقول:

- "السلام على سارقة القلوب.. آسرة الألباب.. السلام على من تصل فتنتها عبر الأبواب.. السلام على أجمل من رأت عيناي من النساء.. لقد غمرتي الغريب بكرمك وجمالك".

تهز رأسها في فتنة وتقول:

- "لا سلام في مملكتي ولا راحة أيها الغريب.. أنت ملكي الليلة أيها الفاتن، فهل تؤكد كلامي؟!".

أهز رأسي في جنون لوقاحتها، وأقول وأنا أغمز لها:

- "الليلة أنا ملكك.. كل جزء في كياني ملكك".

الصوت الغاضب يحرق رأسي:

- "لتحترق في الجحيم يا يزيد.. لتحترق ألف مرة".

أتجاهل الصوت الغاضب، وأتبع المرأة الفاتنة التي سحرتني أنوثتها المترجرجة، فأسمع دوي ضحكة باردة ماجنة يتردد في فضاء المكان..

فابتسم..

هناك من يعرف ماذا سنفعل أنا والسمراء الفاتنة الليلة!!

لذا أبادله الضحكة الماجنة بضحكة أكثر مجونا..

وفي عقلي أشعر بصاحبة الصوت تبكي..

ولا أبالي..

- 2 -

إن أصعب موقف يمكن أن يواجهه رجل يافع في هذه الحياة، هو أن تكون أمامه امرأة فاتنة يشتهيها، ويتحرق شوقا لها، دون أن يجرؤ على الاقتراب منها أو لمسها، خاصة وقد لمحت له تلك الفاتنة، بكل التلميحات الماجنة المكشوفة، التي يمكن أن تلمح بها امرأة لعوب لرجل ترغبه، بل ودفعت ثمنا مرتفعا لليلة تقضيها معه، كما أكدت عليه بأنه سيكون ملكها لهذه الليلة..

وكانت هذه هي أصل معاناتي في هذه اللحظة الفارقة.

فمع كل أبواب ونوافذ الفتنة المشرعة أمامي، وكل التلميحات والرغبات المستعرة المتبادلة، لم أجرؤ على الاقتراب منها، واكتفيت فقط بالمشاهدة، والتمني.

كانت تحيط بها هالة مضاعفة من الفتنة والأنوثة أضعفت إرادتي وجعلتني أرهبها، كما أنها جعلتني أدرك أنني لن أستطع الظفر بها إلا عندما تطلب مني الأمر صريحا.. و..

وتسمح به.

إن جمالها وحضورها مخيفان..

وبرغم هذا كنت غارقا حتى أذني في بحيرة الفتنة السمراء المتلاطمة أمامي، فقط لو يتوقف ذلك الصوت الكريه الذي يفسد علي كل متعة الليلة..

- "لا تسر ورائي.. لتأتي بجانبي، أريد أن يراك كل الناس معي".

أترك الفتنة المتحركة أمامي كنهر من الماجما المتأججة، لأجاورها - أنا في الجنة في كل الأحوال - وأقول:

- "سيحسدني الجميع على صحبتك".

تبتسم، فتتألق عيناها بضوء أسود مشع، وتقول:

- "بل سعادتي ستكتمل عندما يجمعنا فراش واحد".

أقفز إلى أعلى، ثم أصرخ كالأطفال:

- "يا هووووه.. ياهووووه".

- "اللعنة يا يزيد.. لا تغرق في هذا الوحل .. أنت ملكي أنا فقط".

أقول في عبث:

- "ولكنها دفعت مقدما.. دفعت الكثير و..".

تقاطعني المرأة السمراء الفاتنة التي لم أعرف اسمها بعد، وتقول:

- "ومستعدة أن أدفع أكثر لأمتلكك إلى الأبد".

أعترض طريقها بجسدي، وأضع يدي على كتفها وأقول في دهشة:

- "هل تسمعين الصوت أنت أيضا؟".

تزيح يدي برفق وتقول:

- "أنا أسمع وأرى كل شيء.. المكان مليء بالجنون والإلهاء.. ألا تظن هذا؟".

أجاورها في المسير وأقول:

- "لا جنون أكثر من صبري على ضمك إلى صدري، ولا شيء قادر على إلهائي عنك وعن فتنتك وجمالك".

تبتسم في غنج ودلال وتقول:

- "لن تكفيني ضمتك.. لن يكفيني إلا أن تكون جزءا مني".

أنفعل لحديثها الملتهب وأصرخ:

- "سأجعلك تقسمين الليلة أنك لم تقابلي رجالا قبلي".

تبتسم، وهي تزيح شعرها الناعم إلى الخلف، ليظهر نحرها المثير، وتقول:

- "ولكنك أول رجل أقابله في حياتي بالفعل".

أبتسم في انتشاء وأقول:

- "نعم.. أنت لم ولن تقابلي رجلا مثلي".

الصوت الحانق يصرخ بعقلي:

- "ولا أحمق منك يا يزيد.. ولا أحمق منك".

نمر في الطريق على محل لبيع الخمور، فتنظر لي نظرة ذات مغزى، شيء ما بأعماقي يرفض هذا الطلب الصامت، أحاول التهرب متعللا بإفلاسي، وضيق ذات اليد فأقول:

- "لم أملك ثمن الماء ولا الطعام.. فكيف أدفع ثمن الخمر؟".

ابتسامة سوداء ساحرة:

- "اليوم لا تشغل بالك بهذه التوافه، اذهب إلى البائع وأحضر أفخر زجاجة وأغلاها".

تدوي في عقلي جملة غريبة:

- "الليلة خمر ونساء.. وغدا نفعل ما نشاء".

تبتسم الفاتنة السمراء وتقول:

- "الليلة خمر وحبيبتك السمراء.. لا غد ولا نساء".

أبتسم وأقول:

- "أنت أيضا تغارين.. المرأة هي المرأة في كل زمان ومكان".

تنظر نحوي بنظرة شقية وتقول:

- "يبدو أيها الغريب أن لك صولات وجولات في عالم النساء.. اليوم ستنساهن جميعا.. ستنسى حتى اسمك وستكون ملكي".

أبادلها نفس النظرة الشقية وأقول:

- "لقد نسيتهن بالفعل.. أنا ملكك من أول لحظة رأيتك فيها".

تبتسم وهي تتحرك بعودها المتفجر شديد الإغراء، وتقول:

- "أعرف أنك نسيتهن وأنك ملكي".

أعدو خلفها والصوت المذهول يدوي في عقلي:

- "هل نسيتني يا يزيد.. إياك يا يزيد.. لو نسيت كل شيء لضاع كل شيء.. أنت مفتاح كل شيء".

أقول ساخرا:

- "أنا لا شيء بجوار هذه الفتنة المتجسدة.. أنا لا شيء أمام ...".

الصوت يدوي في عقلي مقاطعًا:

- "إنك حتى لا تعرف اسمها".

صوت الفاتنة السمراء يرج عقلي:

- "شعاع .. اسمي هو شعاع.. ابنة الأرض والظلام".

أبتسم في شماته، وأقول:

- "اسمها شعاع أيتها البومة الزرقاء.. شعاع من الفتنة والجمال".

تتلوى شعاع في غنج ودلال، وكأنها لا تأبه بوجود منافسة لها وتقول:

- "لا تلتفت لكل هذا الإلهاء.. فأنت ملكي وحدي".

أتبعها وأنا كالمغيب عبر الميدان الفسيح، وألمح بالجوار مكتبة عظيمة لها واجهة زجاجية هائلة تغص بالكتب المتنوعة، يشدني شوق عظيم نحوها، فتقبض على يدي بغلظة وتقول بقسوة:

- "لا شيء اليوم غير شعاع.. يكفيني كل هذا الإلهاء".

أشعر بضيق، فتقول في دلال:

- "لقد وعدتني أنك ملكي اليوم.. اليوم خمر وشعاع.. وغدا ما شئت من كتب ورعاع".

أرمق المكتبة بنوع من الألفة، ثم أتخطاها بحسرة، لأسمعها تقول:

- "عليك أن تقاوم كل المغريات.. فقط شعاع".

الصوت المحترق الغاضب:

- "ليتك دخلت المكتبة.. فالعلم نور.. وأنت تسير نحو الظلام".

أشعر بروحي تضيق مع عجزي فأقول:

- "سيكون نور شعاع هو طريقي بقلب الظلام.. إنها ابنة الظلام".

أشعر بالصوت المحترق يكاد ينفجر:

- "وأنت ابن الحماقة والغباء وضعف الإرادة.. استيقظ من غفوتك يا يزيد لن أستطع القتال في جبهتين.. كما أني سأحترق من الغيرة".

أتجاهل حديثها الملتاع الغاضب، وأتبع شعاع إلى شارع جانبي يختلف كل الاختلاف عن الشوارع السابقة في إضاءته وتنسيقه.

شارع مظلم أكثر يفتقر للإضاءة القوية التي تميز باقي شوارع البلدة، وعلى جانبيه صفوف من أشجار كثيفة الأوراق معلق عليها مصابيح غازية متوهجة على مسافات متباعدة، أسفلها تصطف عشرات الخيام الدائرية، التي تتوهج من الداخل بضوء برتقالي مريح.

مشهد ساحر ومفاجئ..

اختطف المشهد الساحر عقلي، فقبضت على يد شعاع في قوة وأنا أعتصرها عصرا، وسرت معها منتشيا من عطرها ونعومة يدها..

قطعنا نصف الشارع في حالة من النشوة، يغلي جسدي من الإثارة والشبق، فسمعت صوت قيثارة يصدح من حولي بعذوبة وألحان شجية، فوقفت أنصت لها كالمسحور، متخليا عن يد شعاع، ولكن شعاع عادت تجذبني من يدي بقسوة، وهي تقول في غضب:

- "لا تنصت لهذا الإلهاء.. إلهاء.. إلهاء في كل مكان".

أسحب يدي من يدها فلا تفلتها، فأقول بصوت منوم:

- "لكن اللحن ساحر.. أشعر بأني سأطير".

صوت شعاع الغاضب:

- "أنت لن تغادر المكان، ولن تذهب بعيدا عني، ولو نبت لك جناحان سأقصهم بأسناني".

الصوت اللاهث:

- "لا تقاوم الموسيقى.. طر يا يزيد طر.. لا يوجد وقت طويل.. طر قبل أن ينتهي اللحن.. طر قبل فوات الأوان".

تجذبني شعاع بقوة، تديرني لأواجه عينيها المتألقتين، أنظر لهما بذهول، فتقترب مني بشفتيها..

عيني على نحرها..

تلصق شفتيها بشفتي، تقبلني قبلة طويلة وصوتها يدوي في عقلي:

- "شفتاي أم الكتب.. أم الموسيقى أم نساء العالمين".

أعتصر شفتيها وأردد بداخل عقلي:

- "شفتاك ولا يوجد (أم)".

تنهي قبلتها المستعرة، ثم تجذبني إلى خيمة قريبة، تضيئها شموع سوداء عملاقة، يوجد بداخلها فراش مغطى بالحرير والطنافس، بجواره طاولة عليها عدة قوارير زجاجية، وبعض الفاكهة التي لا أعرف نوعها..

تسحب قنينة زجاجية من فوق طاولة أصغر عليها مفرش غجري مزركش.. تصب لي منها في قدح من الفخار مشروب له نكهة مزيج من الزنجبيل والليمون، ولكنه لذيذ الطعم، وتدفعني نحو الفراش وتقول:

- "الآن عليك أن تتجاهل أي إلهاء.. وتستريح حتى أنتهي من إعداد نفسي.. والأفضل لو حصلت على غفوة قصيرة".

أحاول النهوض من مكاني لأطوقها، وقد بلغ مني الشوق مبلغه، فتدفعني برفق لأعود لمكاني وتقول:

- "أخبرتك بعد أن أعد نفسي".

أترك نفسي للفراش الوثير، الذي يسحب كل الارهاق من جسدي ويصيبني بالنعاس وأنا أفكر..

فاتنة مثلها كيف ستكون بعد أن تهيئ نفسها لرجلها..

لن تكون شعاع واحد ..

بل أشعة قاتلة..

قلتها وأنا أغرق في النعاس، وأبتسم للمزحة..

وفي فراغ الخيمة دوت الضحكة الباردة الماجنة..

ولا أعرف لماذا رأيتها هذه المرة طريفة!!

بل ومناسبة للموقف تماما.



- 3 -

غرقت في النعاس وأنا أتوقع أن أستيقظ في جنة شعاع، لأرتوي من نهر فتنتها الهادر حتى الثمالة..

كل جزء من كياني كان ينبض بالرغبة والشوق إليها.

لا أعرف كيف قهر النوم ثورة جسدي، ولا كيف هدأت براكين رغبتي لأغرق في بحره بهذه السرعة والسهولة؟

قبل أن أنام توقعت كل شيء إلا أن يقودني النوم إلى نوارة، التي لم أكن أذكرها من الأساس.

لا أعرف كيف ولا متى أصبحت في حضرتها، ولكنها كانت متجسدة هناك، بطريقة ما انجذب وعيي إلى وعيها، وصدمني ما أعاصره معها، بعد أن تذكرت كل لحظة كانت لنا معا، وكأنني بالنوم تحررت من قبضة شعاع..

وفي تلك الرؤى أو الاتصال العقلي الفريد، رأيت نوارة..

كانت تحيا معاناة رهيبة..

روحها تتعذب بشكل لا يمكن تصوره..

عقلي يحاول تقبل وجودها مجددا، ويقاتل ليستوعب ، المكان المذهل الذي يراها فيه، وهيئتها الغريبة.

وهو مكان أعجز عن وصفه بدقة، وإن كان أقرب وصف له، أنه عبارة عن محيط هائل الحجم من مادة جيلاتينية شفافة، يحتوي بأعماقه على ما يشبه غابة من الشعب المرجانية الحلزونية المتداخلة من اللونين الأزرق الباهت والأسود المشع، والتي تتحرك في تشكيلات مذهلة..

وبرغم السائل المحيط بها، كانت تتنفس بسهولة..

الأرض تحت قدميها كانت أشبه بطبق جيلي عملاق سطحه متوتر ومشدود، لدرجة أنك ترى الجذور نفسها تتلوى أسفل السطح، وتمتد لأعماق الكوكب المتوهجة.

الكوكب نفسه خرافي الحجم..

فهو في حجم شمسنا تقريبا، كامل الاستدارة، في دقة هندسية مرعبة.. ويتكون من كتلة هائلة من البلازما الحية، يحيط بها غلاف غازي قوي شديد التماسك، يحفظها من الانفجار أو السيلان في الفضاء، وتتعاقب عليه أربع شموس، وأربعة أقمار..

لذلك هو في نهار دائم لا يعرف الإظلام إلا عند ارتصاف الشموس مع الأقمار في مسار واحد، ويستمر هذا الإظلام لعام كامل بتوقيت الأرض ويتكرر كل مائة عام..

وهو وقت شديد الوطأة على قاطنيه، لأنه في كل دورة فلكية، يفقد الكوكب من ربع إلى ثلث سكانه على الأقل نتيجة غياب الشموس.

نوارة كانت هناك بعد خمسين عاما من الإظلام الأخير، بقلب البلازما التي لم تكن تعوق حركتها، فهي تتعامل معها كأنها غير موجودة - كما نتعامل نحن مع هواء كوكبنا - وكانت غاضبة، بل تموج بغضب مستعر يكفي لإحراق الكوكب ذاته..

تتوارى خلف تكوين هائل الحجم من ضفيرتين متألقتين من الشعاب المرجانية، يمكن أن نطلق عليه دون راحة وصف الشجرة..

لم تكن غاضبة فحسب، ولكنها أيضا خائفة..

وفي الواقع، إن نوارة في موقف لا تحسد عليه، فهي في المكان الخطأ والوقت الخطأ، بل وتتلصص على مجموعة من أخطر نساء عالمها..

وهن مجموعة النساء الفاتنات في أعمار مختلفة، أصغرهن في ضعف عمر نوارة، وأكبرهن ربما تجاوزت المائة عام، ولا يتجاوز عددهن السبعة.

يرتدين ثيابا طويلة من مادة شبيهة بالكتان، رقيقة إلى حد كبير، على درجة من العتمة، فلا تظهر أعضائهن الخارجية بشكل كامل.

أما الشيء الأغرب، فكانت تلك المرأة الزرقاء التي يتحلقن جميعا حولها، والتي كانت منذ لحظات عجوز متغضنة، ثم مع الوقت، بدأت تستعيد نضارتها، وحيويتها..

والأعجب، جمالها وشبابها..

كانت متفردة عن كل من حولها بلون عينيها الصفراء المشعة..

تلك الأعين المخيفة التي تميز جنسها الضارب في القدم، والتي كانت تتوهج بوهج رمادي خفيف، يجعلها كجثة تجاهد لتستعيد الحياة ..

والحقيقة أنها كانت كذلك بالفعل قبل عدة دقائق فقط، مجرد جثة، تم استدعاؤها فعادت إلى الحياة..

السؤال هنا:

ما الذي يغضب نوارة لهذه الدرجة، في جثة عادت إلى الحياة؟

الخوف مبرر ولا غبار عليه.. فهي تشاهد جثة حية.. زومبي .. يعود من عالم الموتى إلى عالم الأحياء..

ولكن لماذا الغضب؟

والحقيقة أن وصف الصورة بهذه الطريقة غير صحيح، وغير مكتمل، ويشوش العقل.

فلو تركنا النساء يكملن طقوسهن الشنيعة، بعد أن انهمكن في رص تلك الأشلاء المقطعة التي ينز منها دم أسود له وهج زيتوني غريب، على هيئة مثلث متساوي الأضلاع حول جسد تلك المرأة التي كانت تتألم وتتألق عيونها، كلما امتص جسدها جزءا من هذه الأشلاء..

ولو تركناهن يسجدن ويرددن ترنيمة عجيبة، كانت تتردد بداخلها كلمة غامضة هي (شور) ..

والتي أعتقد أنه اسم الجثة الحية صفراء العينين، أو هو لقب إله أو كيان غامض، كن يتوجهن إليه بأضحيتهن ليساعدهن في طقوسهن السوداء الرهيبة.

لو تركنا كل هذا وركزنا على نوارة.. أو (سو) كما يطلق عليها في عالمها - يا له من اسم رائع - فسنجد أننا نشاهد نوارة الطفلة، التي لو طبقنا عليها مقاييس عالمنا، لقلنا أنها في التاسعة أو العاشرة من العمر..

نوارة التي قادتها حاستها المتفوقة، إلى الغابة المحرمة، والتي يطلقون عليها هنا، (غابة شور)..

لتشاهد الطقوس الأخطر والأشنع في عالمها، وهي طقوس بعث ساحرة صفراء العينين بعد موتها..

والسحرة في عالمهم أو (أبناء شور) ملعونون وخارجون عن القانون، ولا يشبهون سحرة عالمنا في طريقة تعاطيهم مع القوى الخارقة التي يتحكمون فيها.

فهم لم يكونوا ممن يرددون التعاويذ، أو يطلقون العبارات الملغزة أو يصنعون الطلاسم فقط، بل كانوا مخلوقات أكثر قوة وبطشا، لديهم من المعرفة السوداء ما يجعلهم أكثر تحكما في قوى الطبيعة الغامضة في كوكبهم، وأكثر التصاقا بها، وكأنهم جزء من كيانها.

ويستعملون تلك الصلة الخارقة للمألوف، في تسخير كل ما في الكوكب من طاقات ومخلوقات لخدمة أغراضهم الشريرة..

وهم يمثلون القدرة القاهرة لكوكبهم..

الشر الكامن، والذي بدأ يستدعيه بعض أشرار الكوكب، محطمين الحظر المعمول به بين عشائر هذا العالم منذ زمن سحيق..

ذلك الشر الذي تم استدعاؤه رسميا، قبل ألف دهر، ربما مليون عام من تقويمنا الهزيل للتصدي لخطر هائل كان يهدد الكوكب، بموافقة كل العشائر..

وخسائره كانت فادحة بشكل أرعب من تبقى منهم، وإن كانت وفرت لهم في النهاية وطن آمن وملاذ.

وطوال مائة دهر لم يقم أحد من العشائر جميعها بمحاولة جدية لاستدعاء هذا الشر، إلا بعض الخروقات التي لا تذكر، والتي تصدى لها جنود (الحامية) بكل قوتهم..

وجنود الحامية هم المختصون بتتبع هذا النوع من الخروقات، وإنهائه والفتك بمن يمارسه، والذين صاروا مع الوقت أكثر شراسة، بعد أن صارت التجاوزات في هذا المجال لا تحصى خاصة في الفترة الأخيرة.

والآن ها هي نوارة الطفلة تواجه بعث هذا الشر..

الأمر كله كان يمكن أن يكون مغامرة رائعة، قامت بمثلها من قبل، لولا ما قام به (أبناء شور) المتحلقين حول كاهنتهم العائدة من الموت، باختطافهن (مو) صديقتها المقربة، والتي ترتبط معها بصلة روحية نادرة.

ولم يقتصر الأمر على هذا، بل عذبنها، ومزقنها إربا دون رحمة أو شفقة، وقدمنها قربانا لإحياء كاهنتهم صفراء العينين..

وتم هذا الأمر شديد البشاعة أمام عينيها الهلعتين، لدرجة أن صرخاتها العقلية ما زالت تتردد في كيانها، وتزلزلها.

كانت خائفة وغاضبة، وتريد أن تقوم بأي ردة فعل انتقامي يشفي غليلها منهن، بعد أن قادتها تلك الصلة الروحية إلى هذا المكان الملعون..

لو قارنا العمر، والقدرات التي تحوذها في هذا الوقت، فهي في حكم الميتة.. أو (الذاهبة) كما يطلقون على الأمر في عالمها..

ولكنها لم تكن (بلونية) عادية، و(بلون) هو اسم عالمهم البلازمي هذا، بل كانت من الصفوة، ما يوازي أميرة أو على الأقل ابنة أحد رجال المجتمع ذوي السلطة والنفوذ على كوكبنا..

التقسيم الطبقي لديهم شديد التعقيد عن هذا، ولكن هذا ما استطعت فهمه من تلك المعلومات التي تنهمر على عقلي عن نوارة وعالمها، مع تواصلي العقلي المربك معها.

أقول أنها لم تكن مجرد طفلة عادية، بل لها مكانة مميزة في عالمهم، لذلك لم تكن تتحرك دون حراسة.

وحراستها لما تكن تشبه حرس مثيلاتها في كل العشائر، بل كانت حراسة مميزة ومحرمة تم توفيرها لها، بكسر أخطر قوانين بلون، وهو استخدام القوى المحرمة لغرض شخصي.

فأبوها الرجل الهام ذو السلطة والنفوذ، كان ذا وجهين..

وذا شخصيتين متناقضتين..

ففي العلن وأمام المجتمع البلوني كان ممن يجهرون بكراهيتهم السرمدية، لأبناء شور، ويطالب باستئصال شأفتهم من الوجود.

بينما في السر، وفي ليالي الإظلام، كان ابنا من أبناء شور..

ابن شديد الإخلاص والقوة..

ابن أمن لابنته نوعا خاصا جدا من الحراسة..

نوع قاتل، وشديد البأس..

لذلك لم تكن حراستها عادية، بل كان يتبعها كظلها..

وحش الموركا..

وإن كان يتم هذا الأمر، بشكل خفي وسري ومحكم.

***

- "إنها تشبه جدران بطن وحش الموركا.. إنه كائن مخيف وغير محبب في عالمي.. ولا يقتل فريسته، إلا بعد أن يعبث بها، ويدمرها على المستويين النفسي، والبدني".

***

لمعت الذكرى في عقلي، فتحفز كل جزء في كياني، وأنا أتخيل ما ستفعله نوارة الصغيرة (سو)التي تمتلك بيديها تلك القوة الغاشمة الخفية..

كانت حمقاء صغيرة، تعرضت لموقف شديد الوطأة على روحها، فتعاملت بغريزتها، ولم تورط نفسها فقط بل ورطت أباها أيضا.. فكون أبوها من (أبناء شور) كما فهمت، فهناك عهد على السرية بينه وبينهم يمنعهم من ممارسة السحر المحرم في العلن، وبالتالي هي ستكسر هذا العهد..

والأنكى أنها باستدعائها وحش الموركا، ستثير حفيظة جنود (الحامية).

أي أنها ستتسبب لنفسها ولأبيها في فوضى عارمة..

وكان من الواضح أنها لا تبالي بكل هذا، فخلف الشجرة التي لا تشبه أي شجرة في عالمنا، وقفت نوارة الصغيرة، تشد جسدها النحيل ليصبح كالوتر، لتركز عقلها على نقطة واحدة..

استدعاء الموركا..

صحيح أن الموركا هو حاميها، ومع الرابطة التي تربط بينهما فإنه يقدر نوع الخطر الذي يواجهه، ويبدأ في التعامل معه بالشكل المناسب، وتحت غطاء الإخفاء، إلا أنها لم تكن تنوي أن تقوم بالأمر بمثل هذه الطريقة..

فـ (مو) لم تكن صديقتها فقط، بل أختها في العرق..

وهو ما يماثل توأم الروح لدينا، وهي رابطة روحية عالية في هذا العالم ولها قدسيتها..

نوارة تجز على أسنانها..

كتلة متوترة من الطفولة الغاضبة المروعة الآسرة..

موروك .. موروك .. موروك ..

الصوت الجحيمي المخيف يدوي في المكان ..

موروك .. موروك .. موروك ..

خوف غريزي يتسلل إلى أعماقي، مع شعوري بتوتر عظيم.

موروك .. موروك .. موروك ..

أفكر لأهدئ روعي.. أنا هنا بوعيي فقط.. لا مجال للخطر.

وهنا يدوي صوت شعاع في رأسي:

- "هنا تفقد روحك.. كما تفقد وعيك.. كما قد تفقد حياتك.. كف عن إلهاء ذاتك وكن أكثر حذرا".

موروك .. موروك .. موروك ..

أشعر بلفح النيران على جسدي، أو هو بخار ساخن لا أستطيع تحديد مصدره..

هل سأموت محترقا؟

موروك .. موروك .. موروك ..

الحرارة تزداد من حولي..

صوت تفريغ هواء عنيف...

موروك .. موروك .. موروك ..

الصوت مفزع..

موروك .. موروك .. موروك ..

موروك .. موروك .. موروك ..

الصوت يقترب أكثر ..

وهنا أرى ذلك الكائن العملاق الذي ظهر من العدم بين نوارة، وجوقة الساحرات بنات شور، وهو يهاجمهن كالبرق.. وأراه يلتهمهن أحياء، لتبدأ أبشع وآخر تجاربهن في الحياة..

لقد فهمت الآن معنى أنه يدمرهن على المستويين النفسي، والبدني.

لقد استدعت نوارة الجحيم ذاته..

أبحث حولي عن شعاع فلا أجدها، ولكنني أشعر بحضورها القاهر..

اللعنة هل هذا كابوس أم ماذا؟

أتأمل وحش الموركا الرهيب في عجز تام عن استيعاب شكله..

كل شيء في هذا العالم يحتاج لعقل مختلف لوصفة..

كانت له أربعة قوائم قاطعة، كقوائم سرطان البحر، تعلوها كرة شفافة هائلة الحجم تموج بالعروق مكان الجذع، تخرج منها عدة ممصات كالأخطبوط، وله فم واسع عملاق بلا أسنان أو أنياب يعلو تلك الكرة الشفافة، التي كانت بداخلها جوقة ساحرات أبناء شور، يتلوين من الألم وقد سيطر عليهن ذهنيا، وبدأت عصارته الداخلية في هضمهن ببطء شديد، في حين كانت عقولهم تحيا في جحيم من أسوأ ذكرياتهم..

التدمير النفسي و البدني في أبشع صوره..

موروك .. موروك .. موروك ..

صوت الالتهام..

صوت الوحشية.

لهذا الصوت أطلقوا عليه هذا الاسم..

(المورکا).

موروك .. موروك .. موروك ..

إنه يقترب مني..

يقترب أكثر..

لقد حان الوقت ليفتك بي.. فلم تستدعيه نوارة ليفتك ببنات شور وحدهن انتقاما لصديقتها (مو).. بل ليفتك بي أيضا لأنني خنتها وأخونها مع شعاع..

شعاع!!

أين أنت يا شعاع لتنقذيني من تلك المشؤومة الزرقاء ووحشها المخيف؟!

أين أنت لتخرجيني من هذا الفخ القاتل؟

لا يمكن أن أموت بمثل هذه الطريقة البشعة، ولا يمكن أن أتخلى عن شعاع من أجل ساحرة خبيثة..

- "أين أنت يا شعاع.. أين أنت؟".

هل تعلمون لمن تلك الضحكة الباردة الماجنة التي تدوي في عقلي الآن؟!!

نعم.. له هو ..

- 4 -

- "أنا هنا.. ألا تراني؟".

صوت أنثوي خلاب يدوي في عقلي كماء رقراق، فأكرر دون وعي:

- "هنا أين.. أنا لا أرى شيئا.. أين ذهب الوحش؟".

الصوت الساحر يقول:

- "أنا هنا أمامك.. عليك أن تغمض عينيك وتفتح قلبك لتراني.. ولا أدري عن أي وحش تتكلم؟".

أغمض عيني وأفتحها عدة مرات، لأجد أمامي أجمل امرأة يمكن أن تتواجد في الكون كله..

شيء أعجز عن وصف نقائه وعذوبته ورقته وحسنه..

كانت تتخطى كل مراحل الجمال، والبهاء..

ملاك من نور يجلس في محراب حجري، وسط عشرات من الشموع المتألقة، التي لا تخفي ضياءها..

كانت تبتهل إلى السماء في خشوع ساحر، فيتسلل النور والعطر إلى روحي..

أقارن بينها وبين شعاع..

فرق هائل بين السماء والأرض..

الطهر والعهر..

النور والظلام..

إنها شيء خارق للطبيعة..

ماحق للعقول..

سالب للألباب.

إنها تمحو من أعماقي كل الدنس والظلام والغواية وشعاع!!

- "أين شعاع؟".

عقلي مازال مشبع بقطعة الشوكولاتة المتفجرة..

مازال يبحث عنها ويتمنى لو أكمل معها الليلة.. العمر.. و ..

لا ليست من النوع الذي يمكن أن أقضي معه عمري كله..

أنا أريد ليلة..

ليلة واحدة بقلب نهر الشوكولاتة حتى أرتوي، وبعدها..

لا يدري عقلي ما بعدها ..

ربما تكفي الليلة كي لا يفكر في النساء مجددا..

شعاع قادرة على هذا ..

- "هل تفكر في امرأة أخرى وأنت في حضرتي.. أي شيطان يسكنك.. أي ظلام يسرقك مني؟".

الصوت الخلاب الغاضب اللائم يغار هو الآخر!

أنظر في وجهها المنير، وأقول بكل صدق:

- " كل ما أرغبه ليلة واحدة، وبعدها أكن لك مدى الحياة".

الغضب يرتسم على ملامحها، ولكني هذه المرة أسمع في عقلي صوت آخر أشد غضبا:

- "اللعنة عليك يا يزيد.. إنك لم تصمد ولو لحظة أمام أي امرأة قابلتك.. ليتني لم أطردك من عقلي وتركت وحش الموركا ليفتك بك.. أي وغد هذا الذي يسكن أعماقك؟

قاوم يا يزيد.. لا تتورط أكثر.. ولا تنام مجددا.. فربما لن أتمكن من نجدتك في المرة القادمة.. ألا أمثل لك أي شيء.. ليلة واحدة .. ومدى الحياة.. أيها الوغد".

أتأمل المرأة الخلابة التي كانت تضيء المحراب، وتضيء روحي وأقول:

- "لا أعرف لماذا تكرهني تلك البومة الزرقاء؟".

تنظر في عيني فتخطف روحي وتقول:

- "لا أحد يكرهك هنا.. انفض عنك الظلام.. ألا يشبع روحك كل هذا الضياء والجمال".

شيء ما يجبرني على عدم الكذب، فأقول:

- "ربما لو قضيت مع السمراء بعض الوقت، فقد...".

الصوت الغاضب الثائر:

- "أيها الوغد.. أيها الوغد.. أنت تفسد بشهواتك كل شيء".

أتجاهل البومة الزرقاء، وأنظر لتلك الساحرة التي بدا على وجهها اليأس، وهي تقول:

- "ألا أكفيك؟".

أتأمل هالة النور المحيطة بها..

أردد جملتها في عقلي:

- "ألا أكفيك؟".

وأجد نفسي أقول بتلقائية:

- "ربما السمراء تكفي.. أنت أطهر وأنقى من أن تكوني لي.. ولو كان يمكن فلن تكوني مثلها، و..".

قاطعتني في غضب، ليظهر على وجهها ظلام مخيف، وهي تقول:

- "ستعود إليها فأنت تستحقها.. أنت مظلم من الداخل مثلها".

أغمض عيني ثم أبتسم وأقول:

- "إنها مظلمة من الداخل.. ولكنها ممتعة كالشوكولاتة".

صرختها الغاضبة..

الأضواء تهتز..

الشموع تنطفئ تباعا..

أشم الرائحة العضوية العطرية وهي تتسلل إلى أنفي فتغمر رئتي، ثم أستيقظ فوق الفراش الوثير الدافئ، لتشع من وجهي ابتسامة هائلة..

لقد عدت لشعاع..

المكان هادئ..

والشموع السوداء العملاقة التي فقدت بعضا من طولها متناثرة حولي، ومازالت تشع بالضياء.

ومن خلف ستار ممتلئ بنقوش وطلاسم عديدة، يأتي صوت شعاع المثير ليخترق روحي كجمرة من اللهب والإثارة:

- "لقد اخترتني حتى في أحلامك".

أنتفض جالسا وأقول:

- "هل كل ما مر مجرد كابوس؟".

صوتها القوي المثير:

- "حتى الأحلام هنا لها قوة الواقع.. عليك أن تتجاهل كل إلهاء فأنت الليلة ملك لي، لقد دفعت الثمن في المطعم ألا تذكر.. وأنت طعامي.. أنت طعام كثير لليلة واحدة.. أنا جيدة في عقد الصفقات".

غرور الرجال يتملكني فأقول:

- "بل أنا من فاز بالجائزة الكبرى.. رويت عطشي.. والآن أروي شوقي إليك.. وإن كنت تريدين صفقة حقيقية.. فهي الكثير من الراحة بعد أن أنتهي منك".

أطلقت ضحكة ماجنة أشعلت النيران في جسدي وهي تقول:

- "لنرى من سينتهي من الآخر.. سألتهمك حتى آخر قطرة منك".

جلست على ركبتي، وأخذت ألهث ككلب عقور، وأنا أرمق الستار في شهوة وشبق، وقلت:

- "ألن ترأفي بي.. ألم تنتهي من إعداد نفسك بعد.. يكاد عقلي يجن من فرط شوقي إليك".

الصوت المختنق الباكي:

- "ليت يصيبه البله والعته لا الجنون فقط.. إنها فخ يا يزيد.. إنها لا تريد بك إلا الشر.. لا تستسلم لها".

أتجاهل صوت نوارة تماما، وكأنه مجرد تشوش في الخلفية، وأنصت لصوت الرغبة والإثارة القادمين من خلف الستار:

- "لقد أنهيت كل شيء لم يتبق إلا أن أرتدي ثيابا تليق بك".

أنتفض في مكاني، وأهبط من السرير لأتوجه نحوها، وأنا أقول:

- "لن تحتاج ليلتنا لثياب.. أنت أجمل من كل الثياب.. أنت من تليقين بي في كل حالاتك".

يدوي صوتها الصارم المحذر:

- " لا تقترب أكثر.. سأنفذ لك كل طلباتك.. في الوقت الذي أحدده أنا".

أتراجع كاسف البال، وأجلس على طرف الفراش وأقول:

- "ومتى هذا الوقت؟".

ترج ضحكتها المكان، وكأنها تشعر بما يموج في جسدي من حرائق، وتقول:

- "هل أنت متعجل لملاقاة قدرك لهذه الدرجة؟".

أقبض على حافة الفراش، وأعتصر الملاءة في قوة وأقول:

- "أنت أجمل الأقدار.. لو تمنيت لتمنيت أن أخلق على يديك.. لأقضي وقتي كله في محرابك.. ليت الزمن لم يخلق.. ولا المسافات.. وإلا لبقيت إلى الأبد بين ذراعيك".

ضحكتها النارية تبعثر كل قدرتي على الصمود وهي تقول:

- "أعتقد لو ارتديت الثياب سيناسبك الأمر أكثر".

أقول في لهفة:

- "إن إخفاء الجمال جُرم عظيم".

وهنا دوى صوت نوارة الكاسح في عقلي:

- "أفق يا يزيد.. أفق أيها الغرير.. لا تسلم نفسك للظلام.. إنك لا تلعب بالنار بل تسكبها فوق رأسك.. إنها أساس الشر هنا.. إنها ليست ابنة الظلام.. بل هي الظلام ذاته.. لو استسلمت لها فلن نغادر هذا العالم إلى الأبد".

أهز رأسي في ضيق بعد أن أخرجتني من حالة النشوة التي كانت تتملكني، فصرخت في قوة:

- "لا مزيد من الإلهاء أيتها البومة الزرقاء.. لتكن ابنة الجن الأحمر.. لو كان الثمن حياتي مقابل ليلة معها، فسأدفعه بكل رضا".

صوت نوارة الباكي:

- "وأنا يا يزيد.. نوارتك.. ألا تحبني.. ألا تكن لي أي عواطف؟؟".

شيء ما يهتز في أعماقي، ولكني أقول في عناد:

- "لست نوارة .. بل أنت سو.. وليدة أبناء شور.. لقد عرفت الحقيقة كاملة، لن تخدعيني أيتها الساحرة اللعينة".

صوت نوارة المشرف على الانهيار:

- "لا حقيقة في كل ما تكابده.. كل شيء هنا وهم.. وهم".

الكلمة تدوي في عقلي لترجني رجا، فأقول:

- "نعم كل شيء وهم.. أنت وهم عظيم.. ولا حقيقة غير شعاع.. ابنة الظلام والشبق والإثارة".

صرخة عاتية من نوارة وصوتها يتلاشى..

ثم صرخة عاتية مني، وأنا أرى شعاع تخرج من خلف الستار، كما طلبت ودون ملابس...

كتلة من العفن والقيح والصديد المتحرك..

نظرت لها غير مصدق فقالت في جشع:

- "أنا كل ما تمنيت.. أنا من تركت من أجله العلم والموسيقى والطهارة والضياء، أنا أسوأ أمنياتك.. وأنت ملكي الليلة فقد دفعت الثمن مقدما.. وأنت وافقت".

وعندما برزت تلك الأنياب من كومة القيح والعفن والصديد.. أدركت أن العفريت قد ظفر بي ...

وهذه المرة لم تكن ضحكة ماجنة واحدة كريهة..

بل ضحكات عديدة..

ظلت تدوي في عقلي..

حتى غمرني القيح والعفن والصديد..

وقبل أن يتلاشى وعيي ويبدأ عهد الألم..

ظهرت في عقلي صورة نوارة، فصرخت بآخر رمق في كياني:

- "إني أحبك يا نوارة ..

سامحيني..".

يرنو إلى الوادي

فيبصر قبره

يرنو إليه

قصيدة غريبان: للشاعر محمود درويش.

في حضرة العفريت

- 1 -

في تلك الليلة السوداء، كانت شعاع صادقة ومخلصة في وعدها لي، وفي حديثها معي، وفي ما دفعت ثمنه مقدما في المطعم ..

لقد وعدتني أنها ستلتهمني حتى آخر قطرة..

ولم تتوان عن تنفيذ ما وعدتني به، بكل إخلاص الشر ومثابرته وقسوته..

أنا الذي كنت أحلم بليلة حمراء مشتعلة، أقضيها مع تلك السمراء الفاتنة التي خلبت لبي، وملكت كياني، وكنت على استعداد في وقت ما، أن أهبها كل حياتي؛ مقابل تلك الليلة التي سأتمرغ فيها بين أحضانها، وأرتشف من نهر فتنتها وجمالها وأنوثتها.. تلقيت أسوأ مفاجأة في عمري كله.

كانت بالفعل ليلة حمراء من دمائي النازفة..

مشتعلة كألمي الذي لم يتوقف لحظة..

ليلة جحيمية لم أر فيها لحظة واحدة من الراحة أو المتعة.

ليلة كاملة التهمتني فيها عشرات المرات.. التهمتني حقيقة لا مجازا..

فأنيابها كانت تنغرس في لحمي، وتخرج به لتمضغه أمام عيني الجاحظة من المفاجأة، وتلوكها في تلذذ، وأنا أنوح من الألم..

أما عن مخالبها التي كانت بحجم مخالب النمر، فقد مزقتني مئات المرات..

وأسالت دمي، وأنا عاجز عن الحركة، وهي تحاصرني بكيانها المتعفن، ورائحتها التي لا تطاق.

كما أنها أغرقتني في قيحها وعفنها ودرنها وصديدها آلاف المرات، وكأنها كانت تقول لي: تذوق طعم الخطيئة الحقيقي أيها المدنس.

ابتلع مساوئك..

تنفسها..

حتى تمنيت الموت، ولم أحصل عليه!

فتلك اللعينة بوسيلة ما كانت تداوي جروحي وتشفيها في لمح البصر، وقبل أن أحظى بلحظة راحة واحدة، كانت تصليني من العذاب ألوانا، وكأنها أحد زبانية الجحيم..

ليلة سوداء قضيتها مع شهواتي المتجسدة في هيئة امرأة شديدة الإغراء، كشفت لي عن نفسها وحقيقتها المظلمة في النهاية..

مجرد كتلة من العفن كان عقلي وروحي وجسدي يتمنيانها طوال الوقت.

كتلة من القاذورات، قاتلت من أجلها نفسي وعقائدي ومن أحببت..

ثم ألقيت بنفسي بين يديها، لأغرق في مستنقع شهوتي الآسن..

دون أن ألتفت لصوت العشق الصادق ..

لنوارة.

كان الأمر مروعا لدرجة أني اعتقدت أن تلك الليلة، وتلك المعاناة، ستستمر إلى الأبد..

ولكنها انتهت..

ولا أعتقد أنها انتهت على خير؛ لأن كل جزء من روحي تشبع بالعتمة والظلام والخطيئة..

كان الغول وحيد القرن على حق عندما قال:

- "كل كينونتك شر.. ليس عليك أن تخشاني.. أنا الذي لابد وأن أخشاك.. فأنت تبث حولك الشر، وكأنك نجم نزق غاضب.. وأرى أنك تستحق مصيرك الذي ينتظرك".

لقد استحققت مصيري عن جدارة، ويكفيني عقاب أني فقدت نوارة، ولكن ما يهون الأمر علي، أنها بخير وأنها لم تتعذب مثلي..

وهنا دوى صوت نوارة الناقم في عقلي وهي تقول:

- "لقد عشت الجحيم ألف مرة على يديك يا يزيد.. كنت أنت عذابي في هذا الكوكب الملعون.. كنت أراك تركض خلف شهواتك المتمثلة في نساء غيري..

كنت أراك ترفضني وتنساني وتنعتني بالبومة الزرقاء..

كنت أحاول أن أستعيدك بما تحب.. بالكتب.. بالموسيقى.. ولكنك سقطت صريع شعاع.. حاولت أن أقودك لبر الإيمان.. فتركت النور وذهبت إلى الظلام.. كنت معك أساندك، ولكني لم أكن كافية".

قاطعتها قائلا، وأنا أغادر الفراش الذي صار كتلة من القذارة:

- "أخبريني أين أنت وسأترك الدنيا كلها، وآت إليك".

صوتها يدوي في عقلي فيمزق أعصابي:

- "إنه شعور بشع يا يزيد.. أن أواجه عجزي.. أن أراك تمنح نفسك لغيري وتزهدني.. لقد أجاد الشر لعبته هذه المرة.. ومزقني على يديك تمزيقا".

لا أجد ما أرد عليها به، فأصرخ:

- "أين أنت يا نوارة .. أخبريني أين أنت.. أستحلفك بكل عزيز لديك".

صوتها المكسور يدوي في عقلي، قائلا:

- "لم يكن لدي أعز منك يا يزيد.. ولم أكن أتوقع أن تهينني بهذه الصورة.. أنا.. أنا خارج الخيمة أنتظرك".

جوابها جعلني أنتفض في مكاني، وبكل سرعة حاولت أن أزيح قذارات الليلة السابقة التي علقت بجسدي وثيابي التي لم تعد صالحة حتى لستري، ثم خرجت من الخيمة التي كانت تفوح بأقذر روائح في الكون، لأتفاجأ بسماء وردية عجيبة، والضوء يغرق كل شيء، لأصرخ بكل سعادة:

- "لقد نجونا يا نوارة .. لقد نجونا".

ترمقني نوارة بعين كسيرة، وهي تقول:

- "بل غرقنا في الوحل يا يزيد.. لقد صرنا أسرى الكوكب والظلام".

أتلفت حولي إلى ذلك العالم الخيالي الذي يطفح بالألوان والبهجة وأقول:

- "بل نجونا يا نوارة .. انظري إلى السماء.. إلى البحر.. إلى الألوان.. حتى الهواء له رائحة منعشة.. لقد أخبرني الغول وحيد القرن أن أنتظر الضوء.. وهذا هو الضوء.. هذا هو الضوء".

صوتها اليائس الكسير:

"مازالت متسرعا وأحمقا يا يزيد، لم يكن هناك غول أسود وحيد القرن.. لم يكن هناك غيرك وغير مساوئك.. وضميرك.. حتى ضميرك خدعك.. وتجسد لك في صورة بشعة.. أي ظلام يحتويه قلبك يا يزيد.. أي ظلام هذا".

أعاند وأقول:

- "هل كان لضميري شكل بشع واسم وعشيرة.. هل كان ضميري حضارة وفنيت، ولم يبق منها سوى غول واحد، هل ..".

تقاطعني في حزن:

- "بل صوت واحد أخير يا يزيد قبل السقوط.. لقد تشبعت بالظلام بشكل لا يمكن تخيله أو وصفه.. حتى هيئتك الخارجية تبدلت بشكل مرعب.. أنت لم تعد أنت يا يزيد.. منذ وطأت أقدامنا هذا المكان اللعين.. وقد تفاعل معها عقلك بشكل خرافي..

لقد صنعت من واقع خيالك وقراءاتك عوالم متكاملة من الوهم، في البداية بلدة خالية إلا منك وضميرك.. ثم عندما تمكن الشر من عقلك وذكرياتك، جعلتها تغص بالبشر.. ثم بثثت مخاوفك في كل شق فيها..

لقد كنت أنت العفريت يا يزيد..

الكوكب فقط استخدم ما بداخلك من خيال وشر ورغبات لينسج كل هذا الوهم.. لقد أدركت هذا مبكرا وحاولت أن أساعدك، ولكنك من كنت تبعدني عنك بكل قوة، وكأنك كنت تسعى لأن تمحو كل ذرة حب أو خير في داخلك.. لقد صرت شيطانا يا يزيد.. وأنا أصبحت أخشاك كثيرا..".

أصرخ من جنون حديثها وأقول:

- "أي جنون هذا الذي تخبرينني به يا نوارة.. هل تصدقين نفسك.. أنا لا أصدقك.. أنت لست نوارة.. لست نوارة".

تهز رأسها بأسى وتقول:

- "أخيرا أدركت هذا.. أنا بالفعل لست نوارة .. لست....".

وهنا قاطعتها وأنا أنظر للجمال الخلاب المتناثر من حولي وقلت في ظفر:

- "ألم أخبرك.. أنت لست هي .. لست هي".

تجز على أسنانها وتقول بصرامة:

- "مازلت تتهرب من مسؤوليتك ولا تريد أن تعترف بأخطائك.. نعم أنا لست نوارة التي بدأت معك رحلتك.. لست نوارة التي قاتلت بجانبك ومن أجلك.. أنا حطام نوارة.. بقايا نوارة.. أي شيء غير نوارة التي كانت تثق بك".

أدبدب بقدمي فأثير الغبار الأحمر من حولي، وأنا أشعر بكل شيء يعاديني وأقول:

- "اذهبي إلى الجحيم يا نوارة .. اذهبي إلى الجحيم".

تشهق نوارة في قوة..

صاعقة عقلية تشعرني بمدى صدمتها، ثم أرى بعدها كل شيء من حولي يتهاوى وينهار، كما تتهاوى وتنهار ثقتها في نفسها، وفي شخصي..

لأتفاجأ أن كل شيء حولي كان مجرد وهم.

إلا نوارة..

كانت الحقيقة الوحيدة في المكان..

الحقيقة التي تخليت عنها لمجرد أنني لا أستطيع مواجهة نفسي..

لأني لا أريد أن أعترف بأني أسوأ مما أظن..

وبأنني انجرفت إلى الظلام والخطيئة، بكامل رغبتي وإرادتي..

وبأني لم أفهم أنها هي من صنعت ذلك العالم الخيالي الجميل، الذي رأيته خارج الخيمة..

وأنها كانت تحاول المستحيل لتستردني من قلب الظلام..

وأنها كانت مجروحة لأقصى مدى ..

لذا فإنني عندما رأيت حقيقة العالم المظلم من حولي، بعد أن كان مفعما بالألوان والضياء، اجتاحني يأس عظيم..

كنت على استعداد لأن أفقد أي شيء إلا نوارة ..

إنها عالمي وكل حياتي..

كانت هناك على البعد، لا أوهام ولا خداع، ولكن بيني وبينها نهر من ظلام وحزن وانكسار..

لقد نفدت طاقتها وقدرتها على القتال، وربما لذلك صنعت ذلك العالم الحالم، وحاولت أن تضع النقاط على الحروف أمامي كي أستعيد نفسي وأستعيدها..

والآن وقد سقطت الأقنعة كنت بحاجة إليها، وبحاجة للفهم، ولم يكن أمامي غيرها، فسألتها:

- "هل كل ما حدث كان وهما بالفعل.. وهل حوارنا السابق جزء من هذا الوهم المتعاظم؟".

هزت رأسها في حزن وقالت:

- "كل شيء كان وهما.. إلا حوارنا.. كان الصدق الوحيد.. والآن نحن سويا في مواجهة الظلام".

أقول في لهفة:

- "أمازلنا سويا بالفعل؟".

تنظر نحوي بنظرة فارغة، وتقول:

- " لقد افترقنا منذ زمن يا يزيد.. ولكننا سويا في مواجهة الهول القادم".

أرمقها في رعب ثم أتلفت في الظلام، وأقول:

- "أي هول قادم يا نوارة؟".

تشير إلى الظلام وتقول:

- "ألا ترى الظلام من حولك يا يزيد.. إنك لا تراني بالفعل.. ولكنك ترى انعكاسا لصورتي في عقلك.. ألم تشعر بالمصيبة التي وقعنا فيها بعد.. لقد افترقنا بالفعل، وربما إلى الأبد.. وبرغم تواصلنا العقلي.. ولكنني لم أستطع أن أحدد موقعك بدقة.. لقد غرقت في الظلام يا يزيد.. وكل محاولاتي لإيقاظك فشلت".

أقول في ذهول:

- "ما معنى حديثك هذا؟".

ترد نوارة في قنوط:

- "معناه أننا ضائعان.. وأننا لو بقينا على سطح هذا الكوكب الملعون أكثر من هذا فإننا هالكان.. إنه طاقة شر حية، تبتلع كل ما تصل إليها قبضتها وتجعلها جزءا منها.. لقدد حددت مكان الثغرة، عندما تواصلت معك ومع الكوكب؛ ولكني لا أجد طريقة لنجتمع ونغادره معا.. أنت أكبر عائق في المعادلة.. أنت من أعماقك ترغب في البقاء هنا إلى الأبد، لتحيا الوهم وتتمرغ بين رغباتك.. وتصير جزءا من الظلام".

وهنا دوت الضحكة الماجنة الباردة الكريهة ..

فصرخت في غضب:

- "ألم تقولي أنني أنا العفريت في هذه القصة.. فلمن هذه الضحكة الباردة الكريهة؟".

ترد في قنوط:

- " ألم أخبرك أننا عندما هبطنا إلى هذا الكوكب أيقظنا شيئا شريرا؟".

لدقيقة كاملة لم أستطع الرد وقلت:

- "شيء أشدّ شرا مما واجهناه؟".

تجيب في سخط:

- "ولكنك لم تواجه إلا نفسك يا يزيد.. وكأن عقلك كان يتحين الفرصة لينقلب عليك ويعذبك.. والشر الحقيقي مازال كامنا ومتربصا بنا".

وهنا سألتها سؤالا عجيبا مر في رأسي كسحابة مارقة:

- "كم مضى علينا في هذا الكوكب الملعون يا نوارة".

صمتت قليلا ثم قالت:

- "بتوقيت كوكبك.. ساعة وبضع دقائق".

ولم أنتظر أنا العفريت ليضحك هذه المرة..

بل أخذت أضحك كالمجنون ..

- 2 -

- "عليك أن تهربي بنفسك يا نوارة.. لقد انتهيت".

قلتها في يأس، بعد أن خرجت من دوامة الجنون التي تملكتني للحظات، وقد استسلمت لكل ما يحيط بي من ظلام، فعاد صوتها الحانق ليصدم عقلي:

- "لو أردت النجاة وحدي لما تركت نفسي لأقاسي الأمرين من أجلك على هذا الكوكب المشئوم.. لا أعرف لماذا كل هذا التخاذل من جانبك يا يزيد.. أنت أقوى وأفضل من هذا.. لا تستسلم كي لا تشعرني بأنك ستتخلى عني مجددا.. لقد صار ما يربطنا أوهن من خذلان جديد".

أقول في يأس:

- "لقد انتهيت بالفعل يا نوارة.. انتهيت وعليك أنت النجاة.. إن مطلبي هذا حب وليس تخاذلا".

تصرخ بغضب:

- "عليك أن تقاتل أيها الأحمق، الأمر لم ينته بعد، لقد هزمتك نفسك، فلا تترك الشرير ليهزمك، و..".

وهنا دوى صوت مروع كهزيم الرعد، مع ضجيج عال، وكأن هناك من يعمد إلى تحطيم صخور لا أراها، بمطارق هائلة الحجم.

تلاها أصوات انفجارات وانهيارات، وصارت السماء المظلمة مسرحا لألف خيط من ضياء..

أنظر حولي في هلع محاولا استيعاب الكوارث الجديدة التي تنهال على رأسي، فأرى ندبات في عمق الأرض الحمراء تشوه منظرها، وكأن الكوكب كله سينسحق إلى الداخل..

وعلى أثرها وجدت الأرض تتداعى من حولي، ثم انهارت من أسفل قدمي لأسقط لمسافة طويلة قبل أن أرتطم بالأرض، لأسمع صوت نوارة يدوي في أذني صارخا:

- "استيقظ يا يزيد.. استيقظ بالله عليك.. سيجهز عليك الظلام الآن.. عليك أن تهرب فورا".

أنتفض من مكاني غير مصدق أن نوارة بجانبي، أفتح عيني لأجدها هناك ملء العين والبصر، فأنقض عليها وأضمها إلى صدري وأنا أبكي قائلا:

- "أنت هنا.. أنت هنا يا حبيبتي.. لقد...".

يد خفية تدفعني بقوة، ونوارة تصيح بصوتها الهلع الغاضب:

- "الآن يا يزيد.. كفاك حماقة وضعف.. تخل عن الأوهام واستيقظ".

أنظر حولي في هلع، فأشاهد كل شيء في البلدة يتحطم ويتهشم..

لا بشر ينجو من قبضة الشر الخفية، ولا جماد..

صرخات هادرة ..

انفجارات عاتية ..

الفوضى في كل مكان، وكأنما ضرب إعصار خفي كل أرجاء البلدة..

كل شيء يتهاوى ..

الهواء صار شحيحا، وكل معالم البلدة تنسحق، وكأن من صنعها قد انتهى غرضه منها فقرر أن يمحوها من الوجود.

وبعد الظلام والعتمة.. صار الأفق جحيما من الصراخ والأضواء، والانفجارات التي لا تهدأ.

- "تجاهل كل شيء واستيقظ".

نوارة تصرخ في هلع، وأنا لا أفهم كيف أستيقظ وأنا مستيقظ، وأعاصر كل هذا الهول الدائر من حولي..

- "أنت تحت سيطرته.. قاوم وعد لوعيك.. توقف عن التنفس لبعض الوقت.. اكتم أنفاسك".

الصرخات..

الأصوات..

الأضواء...

الانهيارات..

صراخ نوارة:

- "اللعنة على ضعفك يا يزيد.. لقد أحاط بك الظلام تماما.. لقد انتهى كل شيء".

يختلط صوت نوارة المتلاشي بصوت أزير مرتفع، مع رائحة عطرية قوية تغمر صدري والهواء من حولي، يتبعها وهج ساطع يعمي العيون، قبل أن يسود الصمت، وأشعر ببرد طاغ يجتاح جسدي، ليعتم بعدها عقلي للحظات قبل أن يعود لأجد نفسي في آخر مكان يمكن أن أتخيله..

بداخل أحد القبور التي تفوح برائحة الموت وعفن الجثث، ورائحة أخرى شنيعة لا أدري مصدرها..

لوهلة شعرت بالضياع وعدم الفهم قبل أن يترجم عقلي الأمر، لأتيقن أن ما يعجزني عن الحركة هو كفني المعقود حول جسدي..

- "يا إلهي.. لقد تم دفني حيا".

أقولها بصوت مرتجف مذعور، ولأول مرة أشعر أن الأمر مخيف.. مخيف بحق..

هذه المرة الأولى التي أكون فيها بداخل قبر، وأصاب بكل هذا الذعر.. ربما لأنها المرة الأولى التي يكون هذا القبر هو قبري أنا، وأكون بمثل هذا القرب من الموت، لدرجة أني بدأت أشك أنني ميت بالفعل.

ذكرني هذا بسر صغير مازلت محتفظا به لنفسي..

أنني برغم سكني بالقرب من المقابر، وعملي كحانوتي، إلا أنني كنت أتجاهل دوما المرور أو النظر لقبر عائلتي..

نعم كنت أخشى هذا القبر تحديدا، لأنني كنت أرى فيه دائما نهايتي، ودوما ما كنت أصاب بالقشعريرة كلما مررت أمامه، وأحيانا ما كنت أسمع صوتا غامضا يناديني من الداخل..

أعرف أنها مشاعر طفولية، ولكن عجزي عن الحركة، وصعوبة تنفسي مع إحكام الكفن حولي، أورثني مشاعر مرعبة لم أعاصرها من قبل..

إلى متى سأظل حيا في هذا القبر المغلق؟

إلى متى سأتحمل الجوع والعطش؟

هل سأظل أتنفس حتى يجف جلدي ويتغضن ويتيبس، وبعدها أتحول إلى هيكل عظمي؟

هل سأموت بعدها مباشرة، أم سيعاد بعثي كما كانت تفعل شعاع، لأموت ألف مرة بأبشع الوسائل؟

الكفن يخنقني ويكتم أنفاسي..

أقاتل بكل عزمي وقوتي لأمزقه وأخرج من فخه القماشي الذي يعيق حركتي.

وعلى عكس توقعي تمزق الكفن بسهولة، ووجدت نفسي حرا بداخل القبر المظلم..

صدمتني الرائحة..

كانت شنيعة وثقيلة بشكل لا يمكن وصفه..

ليست الرائحة المعتادة لتحلل الجثث وتعفنها بل أشد قوة وقسوة..

لقد كان الكفن يعزلني عنها..

إن روحي تكاد تزهق من هول الرائحة.

لذلك تناولت قطعة من الكفن، ولففتها حول أنفي ككمامة بدائية قللت من حدة الرائحة وإن لم تقض عليها، وبدأت أبحث كالأعمى عن منفذ للخروج من القبر عندما شعرت بالحركة الحذرة من حولي..

كتمت أنفاسي وكمنت في مكاني عندما سمعت الفحيح..

أنا لست من هؤلاء الحمقى الذين يهلعون فيملؤون الأرض صراخا عند تعرضهم للخطر، وينبهون أعداءهم لوجودهم.

الفحيح يقترب.

أتحرك عكس مصدره بحذر..

الظلام والرائحة خانقان..

يدي تلمس باب القبر المعدني المغلق..

أدفعه بقوة وهدوء محاذرا أن أنبه صاحب الفحيح المريب..

رأسي تدور من الرائحة..

الباب المعدني لا يفتح..

شيء يمر بسرعة مباغتة من جواري ..

أشهق فيتوقف..

أحاول الابتعاد فتغرس يدي التي أحبو عليها بداخل القبر في سائل زلالي لزج مقزز..

يقفز إلى ذهني مشهد قديم من الذاكرة يطيح بكل ذرة شجاعة حاولت التسلح بها..

مشهد يحتوي على يد أخي عبد الهادي المبتورة، التي استبدلها بيد خشبية مازالت تثير قشعريرة باردة في روحي كلما تذكرتها.

يليه مشهد آخر دار بيني وبين نوارة في تلك المغامرة الشنيعة التي خضناها معا، وهي تخبرني أن البكتيريا الفضائية التي حولتها لمسخ بشع، أصابت أفعى ضخمة، قبل إغلاقنا القبر، وأن هذه الأفعى المصابة، مسجونة الآن خلف السياج الخرساني، تنتظر تعيس الحظ الذي سيغلبه الفضول ليعرف سر القبر.

والآن أنا سجين هذا القبر - قبر عبد الحميد علوان - مع تلك الأفعى المصابة بألعن بكتيريا فضائية حطت على سطح الأرض في عالمي.

كيف وصلت تلك البكتيريا المشؤومة إلى هذا الكوكب؟

كل شيء غير منطقي على هذا الكوكب..

لو صدقت تحذيرات نوارة، فإن ذلك الشر المظلم الذي أيقظناه عندما تجسدنا على سطح هذا الكوكب مازال يتلاعب بي ..

وأن كل ما أعاصره هو مجرد وهم..

المخيف جدا أنه وهم متجسد..

وهم أكثر من حقيقي، لا يستطيع عقلي الذي شارف على الانهيار مقاومته..

دقات قلبي تتلاحق..

وعزيمتي تفتر..

لا أعرف من أين ينبع كل هذا الضعف، وكل هذا الاستسلام..

حتى لو كان بداخلي جزء شرير، فمن منا خالٍ من الشر..

أنا خائف، وربما لهذا مستسلم..

ولكن متى كانت الشجاعة ألا نخاف؟.. الشجاعة هي أن نقهر ترددنا، ونواجه مخاوفنا، ويكون لدينا كل البصيرة لنسلك الدرب الصحيح، مهما كانت عاقبة هذا الاختيار.

الغول الأسود وحيد القرن أخبرني أني لن أواجه الشر القاطن الكوكب فقط، بل سأواجه أعتم مخاوفي، بل وتمنى لي أن تكون دورة حياتي قصيرة كي لا أعاني أكثر..

نوارة تخبرني أنه لم يكن هناك غول أسود أخير، وأن كل القصة التي عاصرتها معه، كانت صرخة من عقلي الباطن..

عقلي الباطن الذي كان يدرك وحده أبعاد المعركة الدائرة من حولي..

أنا فقط من كنت أجهل أبعادها..

والآن وأنا أواجه تلك الأفعى التي تلمع عيناها في الظلام..

أعرف الآن أن كل مخاوفي يمكن أن أتغلب عليها..

الأفعى المتحولة..

والدفن حيا..

والظلام..

والعفريت..

وشهواتي التي لم أستطع قمعها أو مواجهتها..

كل هذا لن يساوي شيئا لو فقدت من أحب..

لو فقدت نوارة..

إن فقدان نوارة يعني ضياعي الحقيقي..

الضياع التام.

وهو ما لن أسمح به.

لقد كنت أتعامل بشكل معكوس .. مع هذا الكوكب الذي يدور كل شيء فيه بشكل معكوس ..

لم أكن أتعامل بوعيي الكامل، ولا بشخصيتي الحقيقية.. لذلك استطاعت تلك القوى الشريرة أن تسيطر على عقلي..

والآن بعد أن تم دحري في معركة شهواتي، أتت مرحلة قهر الإرادة والسيطرة التامة..

من يسكن هذا الكوكب كان جيدا جدا في استخراج مخاوفي..

أعماني بالخوف..

أضعفني به..

لعب على أوتاره حتى كدت أن أستسلم له ..

والآن أنا أعلم أنني أمتلك تلك القوة القاهرة التي يمكنني بها مجابهة كل هذه الشرور..

لم تكن الكتب ولا الموسيقى، ولا الإيمان ولا الإرادة، ولا تلك التحولات الغامضة التي تدور تحت جلدي..

لقد كانت الحب..

الرباط القوي الذي جعل نوارة تهزم الظلام، وتتواصل معي رغم ما قاسته بسببي..

لم يكن اختفاء نوارة إلا اختفاء قوتي الحقيقية، بينما واجهت وحدها مخاوفها، ودعمتني بكل عزمها أمام مخاوفي وشهواتي، ولكنني كنت أضعف من أن أكون في قوتها وإخلاصها، ومثابرتها.

لم يكن علي الفرار أو الاستسلام..

كان علي فقط أن أتمسك بوجودها..

والآن وأنا أواجه أحد أعقد مخاوفي - تلك الأفعى القادمة من أعمق ذكرياتي -أعلم أن البلدة لم يكن لها وجود..

والغول الأسود وحيد القرن لم يكن مخلوق حقيقي..

وأن شعاع لم تكن كيان مادي فعلي..

لقد خضعت لوهم الكوكب، ولم يكن الشر الذي أيقظناه، إلا شرورنا التي تقبع في داخلنا..

نوارة أخبرتني ألا أنام..

وأن أكتم أنفاسي ..

والآن وأنا في تلك اللحظة الفارقة التي أواجه فيها ذلك الوهم المتجسد في هيئة أفعى، والذي يستعد ليفتك بي، تتجمع كل قطع البازل أمام عيني لتظهر الصورة الكاملة..

أننا منذ وطأت أقدامنا هذا الكوكب الملعون، وقد سيطر علينا بتلك المادة العطرية التي كانت تخرج من تلك الفجوات العملاقة..

تلك المادة كانت وسيلة الكوكب لوضعنا في وهم عظيم..

إن تلك القوى المظلمة تجيد العبث بالعقول وبث الوهم بداخلها..

وعندما وصلت لهذه النقطة انقضت علي الأفعى ..

شعرت بأنيابها الحادة تنغرس في ذراعي.. وبسمها وهو ينساب في عروقي ..

وبرغم الألم الشنيع، لم أتحرك من مكاني، وظللت أحبو على يدي، وعقلي مركزٌ على شيء واحد..

على نوارة ..

قوتي الحقيقية..

وطوق النجاة..

وبكل ما يموج بداخلي من ألم وغضب صرخت:

- " كل هذا وهم .. وهم".

وهنا تفجر القبر من حولي، وانفجر الظلام ذاته، وسمعت صوت نوارة الصارخ:

- "أخيرا يا يزيد.. أكان علينا أن نخوض كل تلك الأهوال لتدرك أنه وهم".

أصرخ في حزن:

- "إنه القدر يا نوارة.. هل تعرفين مكانا آمنا على هذا الكوكب لنحظى ببعض الراحة".

تقول نوارة في يأس:

- " لا مكان آمن هنا.. الكوكب لو صح أن أسميه بهذه التسمية، هو فخ

عظيم.. لا توجد قوى سوداء هنا.. الكوكب ذاته هو القوة السوداء نفسها.. كيان رهيب مسكون بطاقة أزلية، يسعى للتطور والنمو، وكان يرغب في دمج وعينا بكيانه ليستخدم الثغرة في غزو والتهام عوالم أخرى..

هو شيء أعظم مما أستطع وصفه، أو تستطيع استيعابه، لذلك لم أستطع أن أحدد في البداية من أين ينبع الشر ولا أين تختبئ المسوخ..

لقد عشنا في وهم عظيم.. قام به الكوكب نفسه.. نوع من الخداع البصري والعقلي الفائق، عن طريق تلك الرائحة العطرية العضوية التي كانت تخرج من حويصلاته التنفسية، والتي يستخدمها بشكل كامل ليسيطر على القشرة المخية لعقلك، وعلى ترابطاتي العصبية، فتتعامل كما تتعامل كاميرا بدائية الصنع مع الصور، فيظهر كل شيء معكوسا.

لم يكن الكوكب يغلي أو يحترق من الداخل كما اعتقدت سلفا يا يزيد.. بل كان يتنفس".

أصرخ مندهشا:

- "هل معنى كلامك ما فهمته؟".

- "نعم يا يزيد.. الكوكب نفسه حي.. حي بشكل لا أستطع فهمه أو استيعابه، ولكنه حي".

الأمر كان مخيفا أكثر من كوننا مطاردين من قوة مجهولة، أو جماعة من المسوخ التي يمكن حصرها في هيئة ومكان.

مخيف لأنه يقضي على كل أمل لنا بالهرب والتحرر.

وهنا سمعت صوت نوارة الصارخ:

- "الكوكب يتحرك يا يزيد.. عليك أن تحررني الآن.. لا تستسلم لما يبثه في

عقلك من أوهام.. الكوكب علم أنني نقطة ضعفك وسيقضي علي.. لو لم تتحرك الآن فلا معنى لأي شيء".

كلماتها كانت كلطمة عقلية كبرى جعلتني أستفيق وأطرد كل الأفكار السوداء من عقلي وأنا أسمعها تستطرد:

- "لقد تغيرت كثيرا يا يزيد.. أنت الآن قادر.. ولكن عليك أن تفعلها في الوقت المناسب.. الوقت ليس في صالحنا أبدا".

تسرب خوفها وهلعها لكياني، ولكنه منحني هذه المرة طاقة عظمى على المقاومة..

سواء أكانت قوى مظلمة ..

أو كوكب حي ..

لا مجال لفقدي نوارة..

لذلك نهضت من مكاني وسط الظلام الدامس.. ووقفت في منتصف الفراغ، وصرخت بكل قوتي..

لم يكن هناك بلدة، ولا سماء ولا أي شيء، إلا شعور عارم بالغرق وسط كيان هلامي مجهول..

ربما هو الظلام الحي أو أي شيء آخر..

ولكن ما اختلف معي هو قدرتي على إدراك ذاتي والتواصل مع نوارة..

نوارة كانت مقيدة بشكل أجهله..

عاجزة عن الحركة..

منهكة بشكل كبير.

لقد خاضت معركتها ومعركتي في آن واحد، ولكنها لم تستطع الصمود أكثر.

والآن حان دوري..

صوت نوارة يقطع أفكاري:

- "لا تشتت نفسك يا يزيد.. ركز على تحريري.. الزمن والمسافة هنا نسبيان".

عقلي يحاول استيعاب حديثها..

الزمن والمسافة نسبيان..

عقلي يصفوا تدريجيا، بعد أن زالت كافة قيودي العقلية.. فأصرخ:

"بل كل شيء في الحياة نسبي يا نوارة.. لقد فهمت كل شيء وأدركت كنه التحول.. لا تخافي شيئا ما دمت بجوارك".

أقولها، وقد أدركت أنني لا يجب أن أرهق نفسي في التفكير، بل علي أن أنتقل لمرحلة الفعل..

ليس علي أن أخوض في الظلام..

ولا أن أقاتل في سبيل الوصول إليها..

كل ما علي فقط أن أقنع عقلي أنه يحدث..

تقاطع نوارة أفكاري من جديد:

- "الآن يا يزيد.. الآن وإلا ضاع كل شيء".

وهنا صرخت بكل قوتي، وأنا أشعر بالظلام، والقوى الشريرة تحيط بي وبنوارة وتكاد تبتلعنا:

- "إلا نوارة أيها الوغد".

وكأنما خرج من أعماقي إعصار خفي من الطاقة، أطاح بالظلام، والقوى الشريرة، وبقيود نوارة..

لأجدها في اللحظة التالية بين ذراعي وهي تصرخ:

- "الثغرة يا يزيد".

لم أفكر لحظة، بل صرخت بكل قوة:

- "معا يا نوارة.. معا إلى الأبد".

وهنا تألق ضوء ساطع بقلب الظلام..

وشعرت بجسدي يتفكك.. وخلاياه تتبعثر..

كنا ننطلق عبر نفق عجيب لم أره في انتقالنا السابق، ومن النفق كانت هناك عشرات الأيدي تحاول اقتناصنا..

المنظر من حولنا مرعب بشكل لا يمكن تصوره.

نوارة تخبرني أن كل شيء مختلف لأننا نغادر أمعاء كائن حي، أو كوكب حي أجاد العبث بعقولنا، وبذكرياتنا..

وعندما هممت بسؤالها عن حقيقة كونها ساحرة من عدمه، عاد الظلام ليغلفنا..

ثم عاد الوهج الساطع ليعمينا..

وكان ما شاهدته عند تجسدنا أكثر شيء مرعب في الوجود..

كان النهاية الأكثر بشاعة لرحلتنا..

نهاية تستحق ضحكة باردة من العفريت..

ولكنها للأسف كانت أكثر اشتعالا.

-خاتمة-

لم نتجسد هذه المرة تحت قبة حيوية عازلة تموج بالمسوخ، ولا في كوكب حي كاد يفتك بنا ويجعلنا جزءا من كينونته..

بل تجسدنا في الجحيم ذاته..

كوكب مشتعل، كل مخلوقاته من نيران ملتهبة، وكنا نسقط نحوه من السماء بسرعة رهيبة، ولم يكن يفصلنا عن الاحتراق في محيطه الملتهب سوى بضع ثوان.

نوارة تصرخ:

- "اللعنة يا يزيد.. مازلت تنجذب لكل شيء شرير في الكون.. عد بنا إلى الثغرة مجددا".

لم أكن أحتاج لهتافها ولا صراخها، فما أن رصد عقلي المشهد المرعب بالأسفل، حتى تذكرت نار جهنم، وما وعد الله به الخاطئين، لأكتشف أنه مازال هناك في هذا الكون، ما هو قادر على إثارة ذعري وهلعي..

بالطبع لم يكن هناك وقت لرفاهية التفكير أو التعاطي مع المعتقدات، لذلك، وبكل ما استطعت استخدامه من قدراتي التي أصبحت أجهل عنها كل شيء، والتي شحذها وجودي على ذلك الكوكب المشؤوم الحي، وقمت بإعادتنا إلى الثغرة..

وهذه المرة ألقتنا الثغرة إلى عالم آخر ...

عالم مختلف..

عالم وصل فيه البشر إلى درجة لا يمكن تخيلها من التقدم..

فقط شيء واحد هو الذي كاد يجبرنا على مغادرة الكوكب فور تجسدنا على أرضه ..

شيء أعرفه جيدا..

شاهد قبر من معدن لامع لا يصدأ..

نقش عليه بالليزر وبخط شديد الأناقة ..

في ذكرى الخالدين

(نوارة - يزيد)

04/12/9852 م

احترقا ليحيا العالم

ولكن هذه قصة أخرى.

تمت بحمد الله.